

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المختبرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - من أجل صديق ..

لم تكد عقارب ساعة التنبه ، المجاورة لفراش (أدهم صبرى) ، تشير إلى تمام السادسة صباحاً ، حتى بدأت الساعة فى إصدار صفير موسيقى منغم ، بدأ خافتاً ، على نحو قد لا يفلح أبداً فى إيقاظ نائم ، إلا أنه لم يكد يتسلل إلى أذنى (أدهم) ، حتى فتح عينيه ، ومدّ يده فى تكاسل ، يُوقف الصفير بضغطه على زر كبير أعلى الساعة ، ثم تشاءب ، وارتسمت على شفثيه ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :
- يوم جديد ، أشرقت عليك شمسك ، وأنت على قيد الحياة يا (أدهم) .

كان من المفروض ، طبقاً لبرنامج اليومى ، أن ينهض من فراشه ، ويتناول كوباً كبيراً من اللبن المثلج ، ثم يرتدى زيّه الرياضى ، ويزاول رياضة الجرى لنصف ساعة كاملة ، قبل أن يعود إلى منزله ، ويستحم ، ويرتدى ثيابه ، ويطالع صحف الصباح ، ثم يذهب إلى عمله ..

ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك هذا الصباح ..
لأوّل مرّة في حياته ، ومنذ سنوات طوال ، راودته رغبة
قويّة في معاندة ذلك الروتين ، والعودة إلى النوم ..
ربّما لأنه لم يفعل ذلك أبداً ..
وربّما لأنه سئم تلك الحياة الشديدة الانتظام ..
أو ربّما أنها طبيعة (أدهم) المتمرّدة فحسب ..
كان قد عاود منذ أيّام قليلة من (تلّ أيب) ، حيث أضاف
إلى سجله نصراً جديداً ، على الصعيدين : الوطني
والشخصي^(*) ، وعاد إلى موقعه في عمله ، واستردّ كل
ما فقدّه من قبل ..

واليوم تراوده رغبة قوية في التكاثر عن الذهب إلى
مكتبه ، في إدارة المخابرات العامة ، ولقد قرّر أن يحوّل تلك
الرغبة إلى واقع ، وامتدّت يده بالفعل نحو سماعة الهاتف ،
ليبلغ الإدارة رغبته في الحصول على إجازة عارضة ..
وفجأة ، وقبل أن تمسّ أصابعه سماعة الهاتف ، ارتفع
رنيته على نحو مباغت ، فارتفع حاجبا أدهم في دهشة ، ثم لم
يلبث أن ابتسم في سخرية ، وهو يفهم :

(*) راجع قصة (شريعة الغابة) .. المغامرة رقم (٧٢) .

— يبدو أنهم قد قرءوا أفكارك ، ورفضوا مطلبك
يا (أدهم) .. يا لكفاءة جهاز مخابراتنا اليقظ !!
التقط سماعة الهاتف ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول :
— من المتحدّث ؟

لم يكذب يسمع صوت محدّثه ، حتى اعتدل في حركة حادّة ،
وملأته الدهشة حتى الأعماق ، وهو يقول في احترام :
— نعم .. إنه أنا يا سيّدي .

كان المتحدّث هو مدير المخابرات العامة بنفسه ..
وكان هذا يشير الدهشة بالفعل ..

فعل الرغيم من طول فترة عمل (أدهم) في المخابرات ،
وكثرة ماتم استدعاؤه ، إلّا أنه لم يحدث أبداً ، مهما كانت
الظروف ، أن اتصل به مدير المخابرات بنفسه ؛ لأن ذلك
— وبكل بساطة — يخالف تماماً قواعد السريّة المطلقة ،
المعمول بها في عالم المخابرات ..

ولكن دهشة (أدهم) لم تدم لأكثر من لحظة ، أيقن بعدها
أنه من الضروري أن الأمر عاجل وهام ، فانتعشت حواسه
كلها ، ونفض عنه كل ما كان يشعر به من قلق ، وهو يقول في
اهتمام :

— في خدمتك يا سيّدي .

مرّة أخرى ملائمة الدهشة ، حينما استشفّ في صوت المدير
رنة حزن واضحة ، وهو يقول في حُفوت .

— هل يمكنى رؤيتك الآن ، في مكتبي يا (أدهم) ؟
كان هناك أكثر من عامل للدهشة هذه المرّة ..

ذلك الصوت الحزين ، وتلك اللهجة ، التي تحمل من
الرجاء أكثر مما تحمل من صيغة الأمر ، واستخدام المدير
لاسمه ، بدلاً من أن يخاطبه بلقبه الكودى (ن — ١) كعادته
كلّما كان الأمر يتعلّق بمهمّة رسمية ..

ومرّة أخرى نفض (أدهم) دهشته في سرعة ، وقال في
حزم :

— سأصل بأقصى سرعة ممكنة ياسيدى ..

ولقد فعل ..

في تمام السادسة والثلاث ، كانت سيّارته تعبر بوابة مبنى
المخابرات العامة ، وتستقرّ إلى جوار سيّارة المدير ، ويصعد هو
إلى حجرة مكتب هذا الأخير برشاقتة وسرعته المعهودتين ،
متجاهلاً المصنّف كالمعتاد ..

ولم يكد بصره يقع غلى وجه رئيسه ، حتى أيقن أن الأمر
ليس عادياً ؛ فقد كانت هناك مسحة من الحزن تكسو وجه

الرجل ، الذى يرأس أخطر أجهزة الدولة ، وأعظمها أثراً ،
وكانت تلك المسحة تتضاعف لتكسو صوته الحزين ، وهو
يقول :

— اجلس يا (أدهم) ... أريد أن أتحدّث إليك قليلاً .

جلس (أدهم) في هدوء ، وإن حملت نظراته كل ففته
وشوقه لمعرفة الأمر ، وراى الصمت على جوار الحجرة لحظات ،
قبل أن يقول المدير ، متحاشياً التقاء عينيه بعينى (أدهم) :
— أنت تعرف الرائد (خالد) بالطبع يا (أدهم) ..
لقد عملتما معاً يوماً .. أليس كذلك ؟

أوما (أدهم) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

— بلى ياسيدى .. كان ذلك في قضية (سيرجى
كوربوف) (*) .

غمغم المدير بصوته الحزين :

— هذا صحيح .

وزفر في عمق ، قبل أن يعود إلى صمته لحظات ، تضاعف
خلالها فضول (أدهم) لمعرفة سيرّ حزن مديره ، الذى عاد
يقول في حُزن وحُفوت :

(*) راجع قصة (سمّ الكوبرا) .. المغامرة رقم (٥١) .

— منذ حوالي أسبوعين ، كلفنا الرائد (خالد) مهمة مراقبة رجل مُثير للشبهات ، وتتبعه إلى خارج البلاد ، للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات عنه ، وعمّن يعمل لحسابهم ، ولقد أدى (خالد) عمله على أكمل وجه ، ثم تابع مهمته ، فسافر خلف الرجل إلى (تايوان) ، ومن هناك أرسل إلينا برقية شفرية قصيرة ، تقول :

« الصيد أكبر من المتوقع بكثير .. تم تعديل الخطة إلى الطراز [أ] . »

صمت المدير مرة أخرى ، وبدا من الواضح أنه يُعاني مرارة شديدة ، حتى أن (أدهم) لم يجد في نفسه الشجاعة ، ليسأله عما أصاب الرائد (خالد) ، إلى أن تابع المدير حديثه ، قائلاً :

— كان هذا يعني أن (خالد) قد وقع على معلومات بالغة الخطورة ، وأنه في سبيله للحصول عليها ، ولكن
ازدرد المدير لعابه على نحو ملحوظ ، يبدو أشبه برجل يتلع كرة من الصبار ، قبل أن يضيف :

— ولكن (خالد) اختفى فجأة .

وجد (أدهم) نفسه يهتف في الفعّال :

— اختفى !؟

أوما المدير برأسه إيجاباً ، وقال وقد تضاعفت نبرة الحزن في صوته :

— انقطعت أخباره فجأة ، وفقدنا أثره تمامًا ، وفشلت كل محاولتنا للعثور عليه ، أو على العميل الذي كان يتعقبه .
هَبَّ (أدهم) من مقعده ، وقال في صوت مُفعم بالحماس :

— متى تنطلق أول طائرة إلى (تايوان) يا سيدي ؟
حملت إليه نظرة المدير الكثير من الامتنان ، وهو يربت على كتفه ، قائلاً :

— أنت تعلم أن هذه المهمة ليست من نوع مهامك المعتادة يا (أدهم) ، ولست أطلبها منك كرئيسك .. صحيح أنه ليس من المفروض أن تحكمني عراطفى ، فيما يختص بالعمل والرجال ، ولكنك تعلم أن .. أن ..

غلبه الانفعال هذه المرة ، فخفض وجهه ، وهو يستطرد في حُفوت شديد ، ومرارة هائلة :

— أن (خالد) هو ابني .
صمت (أدهم) لحظة ، ليسيّط على انفعاله ، ثم قال في حزم :

— إنها مهمة عاجلة ياسيدى ، فهي تتعلق باختفاء أحد
رجالنا ، وسأنطلق على الفور فى تلك المهمة ، من أجل
(مصر) ، و

والتقت عيناه بعينى المدير ، وهو يستطرد :

— ومن أجل صديق .



٢ — مدينة القلق ..

استغرقت (منى توفيق) فى نوم عميق ، طوال الرحلة من
(القاهرة) إلى (تايوان) ، مكتفيةً بذلك الملئخص السريع
للمهمة ، الذى ألقاه (أدهم) على مسامعها فى المطار ، قبل أن
يستقلاً طائرتهما فى منتصف الليل ، بتوقيت (القاهرة) ، ولم
تستيقظ إلا فى مطار (تاييه) ، عاصمة (تايوان) ،
فتساءبت ، وسألت (أدهم) فى تكاسل :

— هل وصلنا ؟

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

— نعم .. لقد بدأت المهمة .

شبكت أصابع كفيها ، وفردت ذراعيها عن آخرهما ، وكأنما
تنفض عنها التكاسل والحُمول ، ثم تنحنحت ، واعتدلت فى
مجلسها ، والتقطت حقيبتها ، وتناولت منها مرآتها الصغيرة ،
وراحت تضع بعض اللّمسات على زينتها فى اهتمام ، حتى أن
(أدهم) غمغم متبهكماً :

— عجبنا !!... كنت أظننا في مهمة خاصة ، ولسنا بصدد قضاء سهرة سياحية .

عقدت حاجبها ، وهي تقول في خنق :

— أمن المفروض أن نعلن ذلك للجميع ؟

أطلق ضحكة قصيرة ، وقال :

— بالتأكيد .. منتشر إعلاننا بكل الصحف حين هبوطنا ،

و.....

قاطعته غاضبة :

— أيروق لك أن تسخر ذوقاً من كل ما أفعله ، حتى ولو

كان يشبه ما تفعله كل امرأة عادية ؟

مال نحوها ، وابتسم وهو يهيمس :

— ومن قال إنك مجرد امرأة عادية يا عزيزتي .

وعاد صوته ينخفض ، وهو يستطرد :

— إنك فاتنتي

تضرج وجهها بجمرة الخجل ، وضبطت نفسها متلبسة

بالابتسام في سعادة ، فأسرعت تحجب اجسامتها ، وتخل حوام

مقعدتها ، وهي تقول :

— هلاً أعلت على مسامعي طبيعة مهمتنا هذه المرة ؟

كان قد اعتاد أسلوب فرارها من مواجهة مشاعره ، فأجاب في هدوء ، وهو ينهض من مقعده ، ويعاونها على النهوض لمغادرة الطائرة :

— إن مهمتنا باختصار هي معرفة مكان (خالد) ،

والعثور عليه ، وإعادةه ، أو معرفة مصيره على الأقل ، والخط

الوحيد الذي لدينا هو اسم وصورة ذلك العميل ، الذي

اختفى (خالد) وهو يتبعه ، وهو أمريكي يُدعى (هنري

كلارك) ، يدعى أنه سمسار عقارات ، إلا أن معلوماتنا تؤكد

أنه رجل مخبرات سابق ، تم فصله من المخبرات الأمريكية منذ

خمسة أعوام ، ولكن نشاطاته توحى بأن ذلك الفصل زائف

وصوري ، وأنه ما زال يعمل لحساب جهاز مخبراته ، أو على

الأقل لحساب جهاز مخبرات آخر ، وهناك ما يشير إلى أن

من يعمل لحسابهم — أيًا كانوا — يخططون لشيء ما ضد

(مصر) .

كانا قد بلغنا — في تلك اللحظة — منطقة الجوازات ،

فتوقف (أدهم) عن الشرح ، وناول جوازيهما لضابط

الجوازات ، قائلاً بابتسامة هادئة :

— يقولون إن مدينتكم من أكبر الأسواق التجارية في

(آسيا) .. أهذا صحيح ؟ ألقى عليه ضابط الجوازات نظرة باردة ، وتجاهل السؤال تمامًا ، وهو يراجع بيانات جوازى السفر فى اهتمام ، قبل أن ترسم على شفثيه ابتسامه خبيثة مقلقة ، وهو يقول :

— مستر (أدهم صبرى) ، وميش (منى توفيق) ..
أزيارة عمل هى أم سياحة ؟
أجابه (أدهم) ببرود مماثل :
— بعض من هذا وذاك .

تسللت إلى ابتسامه الرجل وصوته نحة ساخرة ، وهو يقول :

— ستروق لكم جزيرتنا فى الحالين بالتأكيد .

ثم ناولهما جوازى السفر ، مستطرذا :
— إقامة سعيدة .

تناول (أدهم) الجوازين ، وجذب (منى) مبتعدا ، وهو يقول فى برود :

— أتعشتم ألا تطول كثيرا .

تألفت عينا ضابط الجوازات ، وهو يلمحهما يتعدان ، واتسعت ابتسامته الخبيثة الساخرة ، وهو يقول :

— أظن أنها ستطول أكثر مما تتصور يا مستر (أدهم) .
ثم التقط سماعة الهاتف المجاور له ، وأدار القرص برقم خاص ، ولم يكذب يسمع صوت محدثه ، حتى قال فى اهتمام :

— لقد وصل الرجل ياسيدى .
بدت اللهفة فى صوت محدثه ، وهو يقول :

— وحده ؟
أجابه الضابط :

— بل بصحبة فتاة جميلة ، تُدعى (منى توفيق) .
رآن الصمت لحظة ، غبر أسلاك الهاتف ، قال الرجل بعدها فى هدوء :

— حسنا .. فليسر كل شيء كما خططنا له ..

ووضع سماعة الهاتف بدوره ، وصمت لحظة ، ثم التفت إلى رجل ممشوق القوام ، وسيم الملامح ، حليق ، أشيب القودين ، وابتسم قائلاً :

— لقد كنت على حق يا مستر (هنرى) .. لقد وصل ذلك الرجل (أدهم صبرى) .

ارتجف جسد (هنرى) على نحو ملحوظ ، وبدأ شديد الانفعال ، وهو يغمغم :



ويذل جهدا للسيطرة على مشاعره ، وهو يضيف :
 — هذا الرجل هو أخطر من يهدد عملينا

— كنت أتوقع ذلك .. كنت أتوقع ذلك .

ثم التقط زجاجة الخمر من جواره ، وصبّ لنفسه كأسا
 مزدوجة ، جرعتها دفعة واحدة ، فاحقن وجهه في شدة ،
 واحمرّت عيناه في قوة ، وأطلق زفيرًا قويًا ، قبل أن يلتقط
 أنفاسه ، ويذل جهدا للسيطرة على مشاعره ، وهو يضيف :
 — هذا الرجل هو أخطر من يهدد عملينا يا (كال) ،
 ولابدّ من القضاء عليه بلا هوادة .

ملأت ابتسامة واسعة وجهه (كال) البدين ، وهو يقول :
 — اطمئن يا مستر (هنري) .. في سبيل نجاح مهمتنا لن
 أتردد في التخلص من رئيس الولايات المتحدة نفسه .
 وأطلق ضحكة حادة ، وهو يصبّ لنفسه كأسا ، رفعها
 بين أصابعه ، مستطرذا :

— نجب القضاء على (أدهم صبرى) .
 وجرع كأسه دفعة واحدة ..

غمغمت (منى) ، وهي تستقر إلى جوار (أدهم) ، في
 سيارة الأجرة ، التي التقطها من أمام المطار مباشرة :
 — رجل الجولفات هذا لم يرق لي .

غمغم (أدهم) في هدوء :

— فليذهب إلى الجحيم .

ثم التفت إلى السائق ، قائلاً بالإنجليزية :

— اذهب بنا إلى فندق جيد أيها السائق .

سأله السائق في آليّة :

— أتفضلُ فندقًا من الدرجة الأولى ، أم الثانية ، أم

الثالثة ، أم منزلًا خاصًا بحوض سباحة ، أم حجرة في

قاطعهُ (أدهم) :

— بل فندقًا من الدرجة الأولى .

أوما السائق برأسه متفهّمًا ، ثم قال :

— حسنًا .. أفي مواجهة البحر تفضّله ، أم داخل المدينة ،

أم بجوار السوق التجارية أم

ضحك (أدهم) وهو يقاطعه ، قائلاً :

— أديكم هنا عدة اختيارات لكل شيء ؟

أجابه السائق في حماس :

— بالتأكيد .

أخرج (أدهم) من جيبه صورة (هنرى كلارك)

ووضعها أمام وجه السائق ، قائلاً :

— قل لي إذن ، هل سبق لك أن رأيت هذا الرجل ، أو

لحته ، أو نقلته إلى مكان ما ، أو أى من هذا القليل ؟ .

تفرّس الرجل في صورة (هنرى) في اهتمام ، ثم أدار محرّك

سيّارته ، وهو يقول في بساطة ، فجّرت انفعال (منى) :

— بالتأكيد .. إنه مستر (هنرى كلارك) .

ولكن انفعالها لم يلبث أن قفز إلى ذرّوته ، حينما أضاف

السائق بالبساطة نفسها :

— ومَن ذا الذى لا يعرفه ؟ إنه رئيس أمن المدينة ، وأخطر

رجالها على الإطلاق .



٣- الحصار ..

زفرت (منى) في قوّة ، وهي تتطّلع إلى البحر ، غير نافذة
حجرتها بالفندق ، وهتفت في صوت لم تفارقه الدهشة ، ولم
يفادره الانفعال بعد :

— رئيس الأمن دفعة واحدة؟! .. ولكن كيف؟ .. كيف لم
تبلغنا تلك المعلومة؟

أجابها (أدهم) في هدوء :

— ربّما لأنه لم يتّوّل هذا المنصب إلا في القريب يا (منى) ،
وهذا هو التفسير الوحيد .

لوّحت بكفّها ، وهي تستدير إليه ، هاتفة في انفعال :

— ولكن هذا يعني أن موقف (خالد) بالغ الخطورة ،
فوجود ذلك الوغد في هذا المنصب الخطير ، يتيح له إعدام
.. (خالد) بلمس القانون .

هتد حاجبيه ، وهو يقول :

— أتمشّم ألا يكون قد فعل يا (منى) .

ثم أضاف بصوت مخيف :

— وإلا فسيُدفع عمره ثمنا لذلك .

عادت تلوّح بكفّنها ، وهي تقول في انفعال :

— والآن ماذا نفعل؟ .. إننا لم نعثر على طرف خيط

فحسب ، وإنما على جبل كامل ، يقودنا إلى الرجل الذي
نشده ، ولكننا نعجز عن الوصول إليه .

رفع (أدهم) عينيه إليها ، وهو يقول في صرامة :

— مَنْ قال هذا؟ .. إننا لم نبدأ بعد .

سألته في جدّة :

— ألدنك وسيلة للوصول إلى رئيس الأمن نفسه؟

اعتدل ، وهو يقول :

— بالتأكيد .

ثم عادت ابتسامته الساخرة إلى شفّته ، وهو يضيف :

— إنه هو نفسه سيعمى إلينا .

هتفت في دهشة :

— كيف؟! ..

اتسعت ابتسامته الساخرة ، واقترب منها ، ووقف يتطلّع

إلى المحيط بدوّره ، وهو يقول في هدوء :

— سترين يا عزيزتي .. سترين ..

أشعل (هنرى) سيجارته فى انفعال واضح ، ونفث
ذخائنها فى قوة ، وهو يقول :

— أكل شىء على مايرام يا (كال) ؟

ابتسم (كال) ابتسامة هادئة ، وقال :

— نعم يا مستر (هنرى) .. لقد حصل على الحجرة التى
أردناها له ، ونحن نراقب حجراته وفندقه ، وهاتفه .. يثق أن
ذلك الشيطان لن يلتقط ذرة واحدة من الهواء ، دون أن نعلم
بها .

لم يشعر (هنرى) بالاطمئنان ، على الرغم من تأكيدات
(كال) ، فمال نحوه ، وهو يسأله فى قلق :

— هل ستقتله ؟

اتسعت ابتسامته (كال) وسط وجهه المكتظ ، وهو
يقول :

— كلاً .. إننى أدخر له نهاية أفضل .

وتناول كأسه فى هدوء ، ورشف رشفة من خمرها ، وهو
يستطرد :

— لقد جاء يسعى خلف زميله ، وسأعاونه فى مهمته ،
وأرسله إليه .

تألفت عينا (هنرى) ، وهو يهتف فى انفعال :

— هل سترسله إلى هناك ؟

نهض (كال) من مقعده ، واتجه نحو خريطة لجزيرة
(تايوان) ، وأشار إلى دائرة تتوسطها ، قائلاً :

— نعم .. إلى المعتقل .. معتقل الجنرال (أندريه) .

وانطلقت من شفثيه ضحكة مقببة ، قبل أن يستطرد :

— إلى بئر الجحيم .

تنهدت (منى) ، وهى تجلس إلى جوار (أدهم) ، فى
السيارة الأنيقة التى استأجرها ، وقالت فى قلق :

— أتظن أن وسيلتنا ستفلح ؟

أجابها فى هدوء :

— بالتأكيد .

غمغمت فى عصبية :

— ولكنها تبدو لى سخيفة ، وعلنية أكثر من اللازم .

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

— أترين ذلك حقاً ؟

أثارها هدوءه ، فهتفت فى انفعال :

— بالتأكيد .. إن هذا لم يحدث أبداً من قبل ، لاني عالم
الخبايرات ، ولا حتى في عالم صراعات الأزقة ، وكان من
الأفضل أن نستشير الإدارة ، قبل أن أقدم عليه .

ضحك ، قائلاً :

— ليس إلى هذا الحد .

هتفت في جدّة :

— ماذا تعني ؟ .. إنك ستشر إعلاناً بالصحف ، تقول
فيه : إلى (هـ . كلارك) .. لقد أتيت من أجلك .. (أدهم
صبري) .. أي أنك باختصار ، ستحدّي الرجل على
صفحات الجرائد .. أبدو لك هذا عقلاً ؟

هزّ كتفيه ، وهو يقول في هدوء :

— كلاً بالتأكيد .

زفرت في ارتياح ، فأسرع يضيف :

— ولن يبدو له كذلك أيضاً ، وهذا هو المطلوب .

حدقت في وجهه بدهشة ، ثم سألته في لحفوت :

— ماذا تعني ؟

أجابها في هدوء :

— إن (هنري كلارك) يتوقّع — بصفته رجل مخابرات

سابقاً أو حالياً — أن المخابرات المصرية لن تقف ساكنة ، في
مواجهة فقد واختفاء أحد رجالها ، وهو ينتظر محاولة منهم
لفهم ما حدث ، وهو في الوقت ذاته يعرفني ، ويعلم أنني
أعمل في جهاز المخابرات المصري ، شأنه شأن أي رجل
مخابرات آخر ، وسيصدمه أن أتحداه على هذا النحو ، وسيجرب
جُنونه ، ويسعى خلفنا ، وعندئذ نكون قد اختصرنا مرحلة
طويلة من الصراع ، والتقينا بخصمنا بناءً على إرادته .

قالت في توثر :

— ولكن هذا يتزع منا زمام المبادرة ، ويمنحه إياه .

عاد يهزّ كتفيه ، ويمطّ شفتيه ، قائلاً :

— دعينا نظاهر بأنه قد فاجأنا ، حينما نفع في قبضته

يا عزيزتي .

هقدت حاجبها ، ومطّ شفتيها في غضب ، وهي تقول :

— مازالت أساليبك لا تزوق لي يا (أدهم صبري) .

ابتسم وهو يقول :

— ولكنها ناجحة .. أليس كذلك ؟

هتفت في سخط :

— ليس في كل مرة .. قل لي بالله عليك ، ماذا لو أنه أمر

بقتلنا على الفور ، وفاجأنا رصاصات رجاله ، و

لاحظت فجأة أنه لا يتابع حديثها ، وأنه يتطلع إلى مرآة
سيارته في اهتمام ، فبترت عبارتها ، لتسأله في قلق :
— ماذا هناك ؟

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يجيبها بابتسامة ساخرة :
— أظنني سأتابع نصيحتك يا عزيزتي ، وأتنازل عن نشر
الإعلان .

عادت تسأله بمزيد من القلق :

— ماذا هناك ؟

أجابها في هدوء ساخر :

— لا شيء يا عزيزتي .. إنه مشهد تقليدي .. مجرد سيارة
ضخمة تثبنا ، وبداخلها خمسة أوغاد ضخام الجثة .. لقد
شاهدت ذلك عشرات المرات .. أليس كذلك ؟

استدارت تتطلع إلى السيارة المطاردة في توثر ، وهي
تُخرج مسدسها الصغير من حقيبتها ، قائلة :

— حسنا .. لقد حانت لحظة القتال .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— كلاً يا عزيزتي .. إنني أكره هذا النوع من القتال
المباشر .. دعينا نبدأ مع هؤلاء الأوغاد لعبة القَطِّ والفار .

ثم انحرف فجأة في شارع جانبي ضيق ، مستطرداً :
— المهم من يلعب ذُور القَطِّ .
وأوقف سيارته على جانب الطريق ، وهو يتف
بـ (منى) :

— هيا يا عزيزتي ، سنواجه خصومنا ، و

بتر عبارته بغتة ، والتقى حاجباه في تساؤل ، حينما لاحظ
أن السيارة الضخمة لم تتبعهما داخل الطريق الضيق ، وإنما
توقفت لتسد مدخله بجسمها ، على حين برزت سيارة أخرى
من الجانب الآخر للطريق ، وسدت مدخله الثاني ، بحيث صار
(أدهم) و (منى) بين السندان والمطرفة ، وغادر
السيارتين عشرة رجال ضخام الجثة ، يحملون مدافعهم
الرشاشة ، وأنجهوا نحو سيارة (أدهم) و (منى) من
الجانبين ، وهم يصوبون إليهما قوّهات مدافعهم ، فانكششت
(منى) في مقعدها ، وشخّب وجهها وصوتها ، وهي تقول :

— صدقت يا (أدهم) .. إننا لن نشر الإعلان .

وازدردت لعايبها في صعوبة ، قبل أن تُضيف :

— سنلقى حتفنا قبل أن نفعل .

وكان من الواضح أنها على حق ..

٤ - الشيطان ..

مضت لحظات من الصمت ، و (أدهم) ينقل بصره بين
فريقي الرجال الضخام ، اللذين يتقدمان من أمام وخلف
سيّارته ، قبل أن يقول في هدوء :

— أظن أنه ليس أمامنا سوى أن نستسلم يا (منى) .

قال هذا ، ودفع باب سيّارته وغادرها ، وهو يرفع ذراعيه ،
ويقول في صوت مرتفع بالإنجليزية :

— حسنا .. إننا نستسلم .

ارتسمت على وجوه الرجال ابتسامة ظافرة ، وتبادلوا نظرات
الفوز ، قبل أن يغمغم أحدهم في ازدراء :

— أهذا الذي يقولون إنه يقاتل كالشيطان ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— إنكم لم تمنحوني الفرصة في الواقع يا صديقي .. لقد
فاجأني حقًا أنكم قد حاصرتم الطريق ، على حين وقع اختياري
عليه عشوائيًا !



لاحظ أن السيّارة الضخمة لم تتبعهما داخل
الطريق الضيق ، وإنما توقفت لتسدّ مدخله

ابتسم أحد الضخام في زهو ، وقال وهو ينقل بصره بين
(أدهم) و (منى) :

— إنها معجزة التكنولوجيا يا رجل .. لقد ثبتنا جهاز
إرسال دقيق ، في حجم زر قميص صغير ، في سيارتك هذه ،
وتبعناك نحن من الخلف على حين سارت إحدى سيارتنا في
الطريق الموازي ، وحينما انحرفت فجأة في ذلك الطريق
الجانبى ، أرسلنا إلى السيارة الأخرى إشارة متفقا عليها ،
فحاصرتك معنا .

ارتفع حاجبا (أدهم) ، وهو يهتف :

— رائع .. هذا يعنى أنكم تعلمون بأمرى منذ البداية .

أوماً الرجل برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

— منذ وطئت قدماك أرض جزيرتنا .. لقد كنا ننتظر
قدومك في الواقع .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، والتفت إلى (منى) ، قائلاً :

— أرايت يا عزيزتى ؟ لم تكن هناك حاجة لنشر الإعلان

بالفعل .. لحذى .. يمكنك تمزيقه .

ومد يده إلى جيب سترته في هدوء ، فهتف به الرجال ،

وقد تحفزت مدافعهم :

— حذار .. سنطلق النار دون تردد .

توقفت يد (أدهم) ، وارتفع حاجباه في دهشة ، وهو
يقول :

— أتخشون الإعلانات إلى هذا الحد ؟

هتف به أحدهم في خشونة :

— ألقى سلاحك أولاً .

هز (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وامتدت يده في هدوء إلى

جيب سترته الداخلى ، فالتقط مسدسه ، وأخرجه قائلاً :

— ها هو ذا .

قال قائد الضخام العشرة في صرامة :

— ألقه هنا .

تنهد (أدهم) ، وقال في لهجة أقرب إلى الضجر :

— لا بأس .. ها هو ذا .

ثم ألقى مسدسه عند قدمى الرجل ..

وفجأة ، انفجر المسدس ..

انفجر بدوى مباغت شديد ..

وتحرك (أدهم) و (منى) في اللحظة ذاتها ..

واشتعلت نيران الجحيم ..

* * *

كان واحداً من الشراك الخداعية البسيطة المتكررة ، التي ابتكرتها المخبرات المصرية ..

من المألوف ، إذا ما تمكّن منك الخصم ، أن يطالبك بتسليم سلاحك ؛ لذا فقد وجد خبراء الابتكارات ، في المخبرات المصرية ، أنه من الممكن حمل مسدسين : أحدهما حقيقى ، والآخر عبارة عن قبلة يدوية ، على هيئة مسدس ، يكفى لتشغيلها أن يسحب صاحبها إبرة المسدس ، ثم يلقيه أرضاً ، فتفجر القبلة ..

وكانت قبلة ذات قوة انفجار محدودة ، تكفى لجرح الخصم ، وإفقاده وعيه فحسب ، دون أن تقتله ، فلقد قدر الخبراء أنه من المحتمل أن يكون ذلك الخصم مطلوباً على قيد الحياة ..

ولولا تلك الصفة الأخيرة ، ما استخدم (أدهم) القبلة الخداعية أبداً ..

فمن العجيب ، بالنسبة لـ (أدهم صبرى) ، أنه — على الرغم من عنف مهنته — يفيض القتل تماماً ، ولا يلجأ إليه إلا للضرورة القصوى ، وحينها لا يكون هناك من سبيل سواه .. ولقد تعلمت منه (منى) هذا المبدأ ..

لقد انفجرت القبلة الخداعية ، فأسقطت ثلاثة من الرجال العشرة فاقدى الوغى ، وأصاب السبعة الآخرين بالذهول ، على حين تحرك (أدهم) و (منى) فى سرعة مدهشة ، فالتقط كل منهما مسدسه ، وارتفعت قدم (أدهم) لتركل وجه أقرب الرجال إليه ، وقفزت قدمه الأخرى إلى معدة الثانى ، ثم فكّه ، فى نفس اللحظة التى أطلقت (منى) فيها رصاصات مسدسها على يدي رجلين ، وتجاهلت صرخات الألم ، التى انطلقت منهما ، وهما يتخليا عن مدفعيهما ، وصوّبت مسدسها إلى الثالث ، ولكنها وجدت (أدهم) يحول بينها وبينه ، وهو يلكم أحد الرجال فى فكّه ، ثم يقفز جانباً ، ويطلق النار على كفّ الثانى ، وينحن متجنباً رصاصه الأخير ، ثم ينقض عليه كالصاعقة ، وينزعه من سترته ، ويهوى على أنفه بلكمة حسمت المعركة ..

وهتفت (منى) :

— لقد انتصرنا .. لقد

بترت عبارتها فى قلق ، وهى تتطلع إلى عيني (أدهم) ، اللتين تركّزتا على نقطة ما خلفها ، وهو يقول :

— ليس بغد يا عزيزتى .

استدارت إلى حيث ينظر لي حذوة ، ولم تكذب تفعل حتى
تقلصت أصابعها فوق مقبض مسدسها في انفعال ، ثم لم تلبث
يدها أن تراخت إلى جوارها ..

فهناك .. في نهاية الطريق الضيق ، كان أربعة رجال
يصوبون إليها وإلى (أدهم) أسلحتهم ..
أربعة من رجال شرطة (تاوان) ..

فحص مفتش الشرطة التايواني مسدس (أدهم)
و (منى) في اهتمام ، للمرة الثالثة ، ثم ارتسمت على شفثيه
ابتسامة ظافرة ، وهو يقول :

— من الواضح أنها قضية دسمة ، فأنا متشوق للغاية ،
لأسمع منكما تفسيرًا لحملكما مسدسين من البلاستيك ،
مصنوعين خصيصًا لخداع آلات كشف المعادن في المطارات ،
واستخدامهما هنا ، دون ترخيص مسبق .

عقد (أدهم) حاجبيه غضبًا ، وهو يقول :
— عجبًا !!.. أبدو لك من المنطقي أن يهاجمنا عشرة
رجال ، يحملون المدافع الرشاشة ، وليس من المنطقي أن ندافع
عن أنفسنا بمسدسين من البلاستيك ؟



بشرت عبارتها لي قلق ، وهي تتطلع إلى عيني
(أدهم) اللذين تركزت علي نقطة ما خلفها

جلس المفتش على مقعد قريب ، وبدت ابتسامته وكأنها
محفورة على شفتيه ، وهو يقول :

— القضية ليست قضية دفاع أو هجوم .. إنها قضية
تهريب أسلحة داخل الجزيرة ، مما يُوجي بشبهة الشروع في
ارتكاب أعمال إرهابية .

لزمت (منى) الصمت في ضيق ، على حين قال (أدهم)
في برود :

— ومن قال إننا قد هربنا الأسلحة إلى هنا ؟
قال المفتش في سخرية :

— لقد عثرنا عليهما معكما .. أليس كذلك ؟
أجابه (أدهم) :

— هذا صحيح ، ولكننا لا نملكهما .

رمقه المفتش بنظرة طويلة ، ثم مال نحوه ، يسأله في
شغف :

— من يملكهما إذن ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

— هؤلاء الأوغاد العشرة ، الذين هاجمونا .

ارتفع حاجبا المفتش ، وهو يقول في سخرية :

— هكذا !؟

واتسعت ابتسامته ، وهو يتراجع في مقعده ، مستطرذا :

— أتغنى أولئك المساكين العشرة ، الذين تحطمت

كفوفهم وأقواهم وأنوفهم ؟

ثم عاد يميل نحو (أدهم) على نحو مباغت ، مُردفاً :

ما عملك بالضبط يا مستر (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) في برود :

— رجل أعمال مصرى .. وهذا مسجل بجواز سفرى ..

أليس كذلك ؟

قال المفتش في سخرية :

— بلى .. إنه كذلك ، ولكن

صمت لحظة ، قبل أن يحدق في عيني (أدهم) مستطرذا :

— يدهشنى كثيرا أن يمتلك رجل أعمال خبرة ومهارة

قتالية عاليتين ، إلى الحد الذي يكفل له هزيمة عشرة رجال .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، قائلاً :

— لا داعى للمبالغة أيها المفتش ، فلم أكن وحدى ..

كانت معى (منى) .

ابتسمت (منى) على الرغم منها ، على حين عقد المفتش

حاجبيه في غضب ، وهو يقول في حدة :

— أتميل إلى المزاج ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

— كلاً .. لقد هاجمنا هؤلاء الأوغاد العشرة ، فانتزعنا منهم المسدسين ، ودافعنا عن أنفسنا ، وهزمناهم .. أهنالك تهمة تشبه ذلك ؟

هتف المفتش في خنق :

— اسمع يا مستر (أدهم) .. إنك لن تنجح في خداعي أبداً .. إن هزيمة هؤلاء الرجال العشرة تحتاج إلى خبرة رهيبية .

قال (أدهم) في سخرية وهدوء :

— لا تنس أنني أزاول الرياضة .

سأله المفتش في جدّة :

— أية رياضة ؟

أجابه في سخرية :

— الشطرنج .

احتقن وجه المفتش غضباً ، وهبّ من مقعده ، قائلاً في

خنق :

— حسناً يا مستر (أدهم) .. إنني ألقى القبض عليك ،

وعلى زميلتك .

نهض (أدهم) بدؤره ، وهو يقول في صرامة :

— بأية تهمة أيها المفتش .. إنني أنكر تماماً ملكيتنا للمسدسين ، ولن يمكنك إثبات العكس ، ولقد كنتنا ندافع عن أنفسنا ، وتأشيرتنا تمنحنا حقّ البقاء هنا قانوناً ، و

قاطع المفتش في جدّة :

— إنني ألقى القبض عليكما بتهمة مقاومة رجال الشرطة .

هتفت (منى) في غضب :

أنت تعلم أن هذا لم يحدث .

أجابه المفتش في صرامة :

— بل حدث .. هل نسيم هؤلاء الرجال العشرة ؟

سأله (أدهم) في قلق :

— ماذا عنهم ؟

اعتدل المفتش ، وهو يقول في صرامة :

— إنهم رجالنا .. إنهم من رجال الشرطة .

٥ - الفخ ..

ملأت الابتسامة وجه (كال) المكتظ ، وهو يقول في ظفر
وارتياح :

— لقد تمّ إلقاء القبض على (أدهم صبرى) يا مستر
(هنرى) .

تألقت عينا (هنرى) ، وهو يهتف في هففة :

— أنت واثق من هذا ؟

ضحك (كال) ، وهو يقول :

— تمام الثقة يا مستر (هنرى) .. اطمئن .

سأله (هنرى) ، وهو يشعل سيجارته في انفعال :

— إنك ستأمر بإرساله مباشرة إلى معتقل (أندريه) ..

أليس كذلك ؟

ابتسم (كال) وهو يهز رأسه نفيًا في هدوء ، فهتف

(هنرى) في عصبية :

— ماذا تعنى ؟ .. إنك لا تعرف (أدهم صبرى) هذا ..

إنه لمن المعجزات أن نجح رجالنا في إلقاء القبض عليه ، ولو أنه
نجح في الفرار منهم ، فسوف

قاطعته (كال) في هدوء :

— رُويدك يا عزيزى .. إننى أثوق لرؤية ذلك الشيطان ،

الذى تنسجون حوله الأساطير أولًا .

لُوح (هنرى) بذراعه في حنق ، وهو يهتف :

— أرسله إلى (أندريه) أولًا ، ويمكنك أن تراه فيما

بعُد .

هزّ (كال) رأسه نفيًا ، وحافظ على ابتسامته الهادئة ،

وهو يقول :

— هذا مستحيل يا عزيزى ، فأنا أكره الذهاب إلى معتقل

(أندريه) ، ولست أدري كيف يطبق هو نفسه البقاء هناك ،

فالمكان مُقبض بحق ، ثم إن عزيزنا (أندريه) لن يسمح لأى

من معتقليه بعبور أسوار المعتقل إلى الخارج حيًا ، وهذا يعنى

أننى لو لم أر ذلك الشيطان قبل ذهابه إلى هناك ، فلن أراه أبدًا .

عقد (هنرى) حاجبيه ، وهو يقول في حنق :

— إنك تتركب أكبر حماقة في حياتك يا (كال) .

ابتسم (كال) ، وهو يقول في هدوء :

— ربّما يا عزيزى (هنرى) ، ولكننا لن نخسر شيئا ..
لقد سقط الشيطان فى الفخ ، وانتهى أمره .
وأطلق ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يستطرد :
— انتهى أمره إلى الأبد .

جلس (أدهم) فى زنزانه الصغيرة يسترجع الأحداث ،
ويفكر فى عمق .
كان من الواضح أن (هنرى كلارك) كان ينتظر
قدومهما ، وأنه قد أعدّ لهما فخا مُحْكَمَا ، ونجح فى إيقاعهما
فيـه .

ولكن أين (خالد) ؟ ..
هل أصابه نفس ما أصابهما يا ترى ؟ ..
هل وقع فى فخ مماثل ؟ ..

ثم ماذا يكون مصيرهما ، بعد الوقوع فى ذلك الفخ ؟
استغرقت تلك الأفكار ، حتى أطل المفتش من نافذة
الزنزانة الصغيرة ، وقال فى شماتة :

— يبدو أنك شديد الأهمية أيها المصرى .. إنك ستذهب
— تحت الحراسة — إلى أخطر رجل بالمدينة ، بناء على طلبه .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :
— دعنى أحمّن .. إنه (هنرى كلارك) رئيس الأمن ..
أليس كذلك ؟
أجابه المفتش فى سخرية مماثلة ، وهو يفتح باب الزنزانة ،
ويصوب إليه مسدّسه :

— أخطأت .. إنه (فرديناند كال) .. حاكم المدينة .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم :
— الحاكم ؟! .. أهو أمريكى الجنسية ؟
أجابه المفتش :

— بل بريطانى .. ولكن هذا ليس من شأنك .. انهض
وسرّ أمامى إلى الخارج .

نهض (أدهم) وسار أمامه فى هدوء ، فقد كان أكثر شوقا
لمقابلة ذلك الحاكم ، ومعرفة سرّ رغبته فى رؤيته ، ولقد سأل
المفتش فى هدوء :

— ولكن لماذا يرغب الحاكم فى رؤيتى وزميلتى ؟

ابتسم المفتش فى سخرية ، وهو يقول :

— إنه يرغب فى رؤيتك وحدك ، وربّما يلتقى بزميلتك
وخذها ، إذا ماراقت له ، فهو يملك ذوقا عاليا فى اختيار
نساته ، و

ومن المؤكد أن المفتش قد قضى ما بقى له من العمر ، نادماً
أشد الندم على تفوهه بذلك الجزء الأخير من العبارة ، فلقد
فوجئ قبل أن يتم عبارته بـ (أدهم) يدور على عقبيه في سرعة
مذهلة ، وينحنى في مهارة ورشاقة مدهشتين ، ثم يلكمه في
معدته لكمة كالصاعقة ، تزخر بالقوة والغضب ، حتى لقد
بدا للمفتش ، وهو ينشى في ألم رهيب ، أن تلك اللكمة قد
اخترقت جدار بطنه ، ومعدته ، وارتطمت بلا شك وعموده
الفقرى ؛ لأنه شعر بهذا الأخير يصرخ ألماً ، ويكي قهراً ،
قبل أن تنفجر قبضة (أدهم) الأخرى في فكّه ، فتجبره على
الاعتدال ، وتملاً فمه بطعم الدّم ، وبعدد من الأسنان
المكسورة ، وتدير رأسه في عنف ، وتدفعه للسقوط فاقد
الوعى ، لولا أن انتزع منه (أدهم) مسدسه في سرعة مذهلة ،
ودار حوله ، وطوّق عنقه بساعده ، وضغطه في قوة جحظت
لها عينا المفتش ، وتدلى لها لسانه خارج فمه ، وهو يهتف في
صوت مختنق :

— الرّجّة !! الرّجّة !!

صاح به (أدهم) في غضب وصرامة :

— لقد أخطأت أيها الحقير .. إن نساءنا لسن نهباً للأوغاد

كحكاهم .. حذار أن تفقد الوعي ، فستقودني إليها ، وتطلق

سراحها ، أو أنتزع رأسك من جسدك .

هتف المفتش في صوت مختنق أجش :

— سأفعل .. سأفعل بالتأكيد .

دفعه (أدهم) أمامه في قسوة ، عبّر الممرّ الذي يحوى

الزنزانات ، حتى توقّف المفتش أمام زنزانة صغيرة ، وهتف في

ألم :

— إنها .. إنها هنا .

شدّد (أدهم) ضغط ساعده على عنقه ، وهو يقول في

صرامة :

— أخرجها إذن .. إننى أنتظر .. ولست أتميز بالصبر .

أسرع المفتش يدرس المفتاح ، في ثقب باب الزنزانة ،

بأصابع مرتجفة ، وفتحده ، هاتفاً :

ها هي ذى .

لم تكذ (منى) ترى وجه (أدهم) ، حتى اندفعت نحوه ،

وهي تهتف :

— (أدهم) !.. كنت أعلم أنك .

أوقفها (أدهم) قائلاً في حزم :

— مهلاً يا (منى) .. إننا لم ننج بعد .
 ثم سأل المفتش في غلظة :
 — كيف السبيل إلى الخروج من هنا ؟
 أشار المفتش إلى باب في نهاية الممر ، قائلاً :
 — هذا هو السبيل الوحيد ، ولكنه يمرّ عبر حجرة الضباط .

سأله (أدهم) في صرامة :
 — كم ضابطاً هناك الآن .
 تحشرج صوت المفتش ، وهو يجيب :
 — ستة .. هناك ستة ضباط .
 عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :
 — حسناً .. هذا كل ما أريده منك .
 ثم هوى على فكّه بلكمة أفقدته الوعي ، وهتفت (منى) :
 — ماذا سنفعل الآن ؟
 ابتسم في سخرية ، وهو يقول :
 — ياله من سؤال !.. سنهرب من هنا بالفعل .
 هتفت في جدّة :
 — إننى لم أعُد أفهم شيئاً .. ألم تكن لحطّتك الرئيسية هي أن ندفع (هنرى) إلى القُدوم إلينا ؟



أسرع المفتش يمدس المفتاح ، في ثقب باب الزنزانة ، بأصابع مرتجفة .

توقّف بغتة ، ثم التفت إليها ، وأمسك كفيها في قوّة ، وهو يتطلّع إلى عينيها ، قائلاً :

— اسمعى يا (منى) إننى أعترف أن عمليتنا بدت متخبّطة حتى هذه اللحظة ، فكلّما استقرّ قرارنا على حُطّة محدودة ، أبدلت الظروف والملابسات لحطّتنا تمامًا ، ولقد كنت أسمى فعلاً للالتقاء بـ (هنرى كلارك) ، ولكننى كشفت منذ قليل وجود ثغرة مخيفة في حطّتى .

سألته في دهشة ، وهى تتطلّع إلى عينيه في خيرة :

— أية ثغرة ؟

أجابها في صرامة :

— أنت .

هتفت في دهشة :

— أنا ؟ .. ما الذى يعنيه هذا الـ ؟

قاطعها في حزم :

— اسمعى يا (منى) لقد نبهنى هذا المفتش الوغد ، منذ

دقائق قليلة ، إلى حقيقة غابت عن ذهنى بعض الوقت ، ألا

وهى أن (هنرى كلارك) يريدنى وحدى ، وأنه لن يقتلك ..

هتفت في دهشة :

— ماذا سيفعل بى إذن ؟

أجابها في حدّة :

— ما هو أكثر فظاعة من القتل .

ظهر الدعر على وجهها ، فأضاف فى حزم صارم :

— اسمعنى جيّداً .. إن الفرار ليس إحدى لحطوات حطّتى

أبداً ، ولكن من الضرورى أن تغادرى هذا المكان ، وعليك

فوز ذلك أن تتوجّهى إلى القنصلية المصرية ، وتخبرى القنصل

المصرى بالأمر كله .. اطلبى منه أن يهدّد بإثارة أزمة

ديبلوماسية ، أو أى شىء يراه مناسباً .. المهم أن تبقى هناك

حتى أعود .

هتفت فى عناد :

— كلاً .. لقد بدأنا المهمّة معاً ، و

قاطعها فى حدّة صارمة :

— هذا أمر أيتها النقيب .

عقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول فى حدّة ممانثة :

— سمعاً وطاعة يا سيادة المقدم .

ثم اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تسأله :

— ولكن ماذا ستفعل ؟

أجابها فى حزم :

— لسبب ما ، طلب حاكم المدينة رؤيتي ، وهو بريطاني ،
يُدعى (فرديناند كال) ، ولست أدري ما إذا كنتُ غلثك ملقاً
عنه أم لا ، ولكن مطلبه هذا يعني أنه يعلم بالضرورة من أنا ،
وأنه هناك صلة ما تربطه بـ (هنري كلارك) ، ومن
الضروري أن أكشف تلك الصلة ، فأنا على ثقة من أن كشفها
سيقودنا إلى معرفة مصير (خالد) .

سألته في صوت مرتجف :

— هل تظن أنهم ؟

ولكنها لم تتم سؤاها ، فقد دفع أحد الضباط باب المرآ في
تلك اللحظة ، ولم تكده عيناه تقعان على ما حدث ، حتى انتزع
مسدسه ، وهو يهتف :

— ماذا يحدث هنا بحق السماء ؟

ولم يكن هناك مفرٌّ من بدء الاشتباك على الفور ..

٦ — الهروب الكبير .

بدأ الاشتباك دفعة واحدة ، وعلى نحو مباغت عنيف ، فلم
يكده ذلك الضابط التايواني يرفع مسدسه في وجهي (أدهم)
و (منى) ، حتى رفع (أدهم) مسدسه في سرعة البرق ،
وأطلق رصاصته ، لتطيح بمسدس الضابط ، الذي شهق في ألم
ودهشة وذعر ، ثم احتبست صرخته في حلقه ، حينما رأى
(أدهم) يندفع نحوه كالصاروخ ، ويُهشّم فكّه بكلمة
ساحقة ، قبل أن يفيق من ذهوله ..

وبحركة سريعة ، التقط (أدهم) مسدس الضابط ، وألقاه
إلى (منى) ، التي التقطته وهي تعدو نحو (أدهم) ، وسمعت
يقول في إيجاز :
— هيا بنا .

كان صوت الرصاصة قد أثار ضجة هائلة في قسم الشرطة ،
واندفع الضباط الخمسة الآخرون نحو باب المرآ ، وأيديهم
تلتقط مسدساتهم ، ولكنهم فرجئوا بإعصار .. انقضّ عليهم

— نريد (هنرى كلارك) .. رئيس الشرطة .
ساد الصمت لحظة ، وكأنما أدهش مطلبه الجميع ،
فأردف :

— لدينا هنا معلومات بالغة الخطورة ، تختص بأمركم
واقصداكم ، ولن نبلغها لسواه ، أو اقتلونا لو شئتم .
ساد الصمت لحظة أخرى ، ثم قال الصوت الصارم :
— إننا نمنحكم نصف الساعة للتراجع عن إصراركم ،
وبعدها سنمطركم بالنيران ، حتى ولو اضطررنا لنسف القسم
كله .

غمغمت (منى) فى توثر :

— لقد ضاعفوا المهلة .

أجابها (أدهم) :

— نعم .. حتى يمكنهم استشارة (هنرى) ، وعرض
الأمر عليه ومعرفة رأيه فى تنفيذه ، وهذا يمهلنا ما نحتاج
إليه .

سألته فى قلق :

— ماذا ستفعل ؟

أجابها وهو يتجه إلى الداخل :

— سأقاتل .

(أدهم) و (منى) بعنف شديد ، وحطمت قبضة (أدهم)
فك أولهم ، وركلت قدمه معدة الثانى ، على حين أطلقت
(منى) النار على ساق الثالث ، وهوت بحافة يدها على مؤخره
عنق الرابع ، وأنهى (أدهم) الجولة بتحطيم أنف الخامس ،
وعنق السادس ..

وأشار (أدهم) إلى باب جانبى ، هاتفاً :

— من هنا .

تبعته (منى) إلى الباب ، ودفعه هو بركلة قويّة ، فانهالت
عليهما رصاصات رجال الشرطة فى الخارج ، وارتفع صوت
صارم ، يقول :

— استسلموا ، أيّا كان عددكم .. سنمهلكم عشر دقائق

فحسب ، ثم نطلق عليكم النار .

صاح (أدهم) :

— سنقتل رجالكم السبعة هنا ، لو لم تفسحوا لنا الطريق .

أجاب الصوت الصارم :

— أوامرنا تقتضى تجاهل أيّة تهديدات .. استسلموا

أو

قاطعته (أدهم) :

هتفت ، وهي تختلس النظر إلى الخارج ، من ثقب الباب :
— إننا لا نملك سوى مسدسين ، وهم أكثر من ثلاثين
رجلاً ، يحملون المدافع الآلية :

ابتسم في سخرية ، وهو يقول :

— ومن قال إننا لا نملك سوى مسدسين .. هل نسيت
هؤلاء الأوغاد الستة ، الفاقدي الوغى ؟

صاحت في جدة :

— حتى ولو حصلنا على مسدساتهم ، فهي لن تكفي
لمواجهة ثلاثين مدفعاً آلياً .

اتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

— أتراهنين ؟

التفتت إليه في خيرة ، ثم انعقد حاجباها ، وهي تقول :

— (أدهم صبرى) ، قل لي فيم تفكر ؟

أجابها في هدوء :

— في استغلال كل الإمكانيات المحلية يا عزيزتى .

ثم أشار إلى اسطوانة معدنية ، إلى جوار الموقد ، وأضاف :

— ونحن نملك ما يسرُّ القلب .

سأله ، وهي تتجه إليه :

— هل سنحوّنها إلى قبيلة ؟

ضحك في هدوء ، وكأنما يجلسان في منزله ، وقال :

— بل إلى شيء أفضل يا عزيزتى .. أفضل كثيراً .

هنا فقط ، وفي مثل هذه الظروف ، يبرز ما نطلق عليه اسم
(الفطرة القتالية) ، فلقد كان الشكل الظاهري يُوحى بأن
(أدهم) و (منى) لا يمتلكان سوى ثمانية مسدسات نصف
آلية ، وأسطوانة غاز ، ولكن (أدهم) حوّل هذه الأسلحة
البيسة ، وبمهارة رائعة ، إلى أسلحة قتالية متطورة ..

لقد أفرغ الرصاصات من المسدسات الستة ، وأفرغ
بارودها في ثلاثة أكواب معدنية ، أحكم إغلاقها ، وزوّد كلاً
منها بفتيل قوى ، ثم اتزع خرطوم أسطوانة الغاز ، وهو يقول
مبتسماً :

— الآن صرنا وخدة قتالية يا عزيزتى (منى) .

تطلعت إلى ساعتها ، وهي تقول :

— رائع .. لقد أنجزنا ذلك في عشر دقائق فحسب .

أجابها (أدهم) ، وهو يدفع أسطوانة الغاز أمامه :

— كان من الضروري أن نفعل ، حتى نبدأ المعركة قبل

وصول إمدادات .

اقرب الاثنان من الباب ، وتطلعا إلى الموقف في الخارج ،
وقال (أدهم) في هدوء :

— أترين تلك السيارة هناك ، في أقصى اليمين ؟. تلك التي
سنستقلها .

أومأت برأسها إيجاباً ، فعقد حاجبيه ، وهو يقول في
حزم :

— الآن ..

وعلى الفور ، أشعلا فيل القنابل اليدوية الثلاث ، التي
صنعاها من بارود الرصاصات ، والأكواب المعدنية ، وألقياها
وسط رجال الشرطة الثلاثين ، فانفجرت القنابل الثلاث
بدوي هائل ، وساد هرج رهيب ، في نفس الوقت الذي اندفع
فيه (أدهم) و (منى) خارج المكان ، وراحا يطلقان نيران
مسدسيهما على رجال الشرطة ، الذين تضاعف هرجهم
وارتباكهم ، وبلغ تخبطهم ذروتة ، وخاصة حينما أشعل
(أدهم) النار أمام خرطوم أسطوانة الغاز ، فاندفع منه خيط
من اللهب ، جعله أشبه بقاذفة لب ضخمة ..

وكانت مفاجأة مذهلة حقاً ..

وقبل أن يفوق الجميع من ذهولهم ، كان (أدهم) قد ألقى

الأسطوانة المشتعلة وسطهم ، فقفز برعبهم وارتباكهم إلى قمة
رهيبة ، قبل أن يقفز مع (منى) داخل السيارة التي انتقياها
من قبل ، وأدار هو محركها ، وانطلق بها مبتعداً ، ومن خلفه
انفجرت أسطوانة الغاز بدوي هائل ، واشتعلت النيران في
ساحة القسم ، وهتفت (منى) :

— لقد انتصرنا بجدارة هذه المرة .

أجابها ، وهو يزيد من سرعة السيارة :

— ليس بعد .. إنهم يطاردوننا .

هتفت في انفعال ، وهي تلتفت خلفها :

— كم سيارة ؟

أجابها في هدوء :

— ثلاثة .. كم رصاصة تملكين في خزّان مسدّسك ؟

تنهدت ، وهي تجيب في حنق :

— واحدة .. وأنت ؟

ابتسم قائلاً :

— أقل منك بواحدة .. لقد فقدت رصاصاتي كلها .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى أطلق أحد رجال الشرطة ، من

إحدى السيارات الثلاث ، رصاصة اخترقت زجاج السيارة

الخلفى ، ومرقت منه إلى زجاجها الأمامى ، فهتفت (منى)
في دُعر :

— زد السُرعة .. إنهم يطلقون النار علينا .
تألقت عيناه ببريق شديد ، وهو يقول :
— ليست السرعة هى العامل الأهم ، فى مطاردات
السيّارات يا (منى) ، وإنما الخبرة والمهارة .
وانتشى صوته ، وكأنما يقدم على لعبة مسلّية ، وهو
يردف :

— وسألّتهم درسا فى ذلك .

لم يكذب يتمّ عبارته ، حتى ضغط كمّاحة سيّارته فى رفق ،
وعلى نحو فائق البراعة ، جعل سرعة السيّارة تنخفض على نحو
مباغت ، أثار دهشة وارتباك قائدى السيّارات الثلاث
المطاردة ، قبل أن يدير عجلة القيادة فى قوّة ، فتدور إطارات
السيّارة إلى اليسار ، وتدور السيّارة حول نفسها نصف
دائرة ، لتواجه السيّارات الثلاث فى تحدّ ..
وأدهشت المفاجأة قادة السيّارات الثلاث بحق ، وخاصة
عندما رأوا سيّارة (أدهم) تنطلق نحوهم ، وتملكهم الدُعر ،
وهم يفسحون لها الطريق ، على نحو غير منتظم ، تسبّب فى
ارتطام إحدى السيّارات بجذع شجرة ضخمة ، على جانب



الذى الإسطوانة المشتعلة وسطهم ، فقفز برؤوسهم وارتباكهم إلى قمة
رهبة ، قبل أن يقفز مع (منى) داخل السيّارة .

الطريق ، وتحطم مقدمتها ، ومبرد المياه تحركها ، على حين
عادت سيارة (أدهم) تدور حول نفسها نصف دائرة
أخرى ، ثم تعاود انطلاقها مبتعدة عن السيارات الثلاث ،
وهو يطلق ضحكة ساخرة ، قائلاً :

— أرايت يا عزيزتي ؟.. إن سياراتهم أكثر قوة من هذه ،
ولكن مناورتنا المفاجئة أربكتهم ، وأفقدتهم ثلث قوتهم .

تطلعت خلفها ، وهي تقول :

— ولكن الثلثين الباقين يصرّان على مواصلة المطاردة .

ضحك وهو يقول :

— هذا من سوء حظهما .

ثم زاد من سرعة سيارته ، وهو يستطرد :

— طبقاً لخريطة (تايوان) ، هناك نهر صغير سيواجهنا

بعد لحظات ، وهو يفصل المنطقة المتمدنة عن الأعراس ، ولو
أنا غبرناه ...

اضطر لبتير عبارته ، عندما أصابت جسم سيارته
رصاصتان ، كان لهما رنين مخيف ، جعل (منى) ترتجف ،
وهي تهتف في خنق :

— يا للأوغاد !!.. إنهم يستغلون كوننا عزلاً .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— من قال إننا كذلك ؟

ثم انحرف بسيارته فجأة إلى جانب الطريق ، ومرق بين
شجرتين ضخمتين ، واندفع في ذلك المعبر الترايبى الضيق ،
خارج الطريق ، فتصاعدت من خلفه سحابة ضخمة من
الغبار ، وهتفت (منى) :

— أضدهم تعمل أم ضدنا ؟.. أنسيت أن واجهة السيارة
الأمامية محطمة ؟.. إنك ستغمرنا بأطنان من الغبار .
أجابها في هدوء :

— وسأعوق الرؤية أمامهم أيضاً يا عزيزتي .

عاد ينحرف بسيارته بغتة إلى الطريق ، ودار حول جذع
شجرة ضخمة ، ثم عاد يدور حول نفسه ، وينطلق في اتجاه
السيارتين ، هاتفاً :

— صحيح أنني أكره تكرار نفسي ، ولكن للضرورة
أحكام .

لم تكد السيارات تتجاوزان سحابة الغبار ، التي صنعها
بخوضه الطريق الترايبى الجانبى ، حتى فوجئتا به في
مواجهتهما ، فضغط قائد إحداها كمّاحة سيارته بكل ما يملك
من قوة ، ولما كانت سيارته تنطلق بسرعة كبيرة ، فقد كان

لهذا التوقف المفاجئ أسوأ الأثر ، إذ انقلبت السيارة رأساً على عقب ، وتدحرجت إلى جانب الطريق ، حيث ارتطمت بشجرة ضخمة ، واشتعلت النيران في خزان وقودها ..
أما السيارة الأخرى ، فقد نجح قائدها في كبح جماحها ، وسيطر عليها في مهارة ، وانطلق خلف سيارة (أدهم) ، التي دارت حول نفسها مرة أخرى ، وعادت إلى خط سيرها الأول ..

وفجأة .. لاح النهر لـ (أدهم) من بعيد ، فقال في اهتمام :
— كل ما نحتاج إليه يا عزيزتي (منى) هو أن نغبر هذا النهر ، وبعدها سنثبت لذلك البطل الذي يطاردنا ، أنه لا يجيد أبداً القيادة وسط الأدغال .

زاد من سرعة سيارته ، وهو يندفع نحو النهر ، وبدا لهما رأس جسر صغير ، فهتف (أدهم) ، وقد باتت المسافة بينه وبين النهر مجرد أمتار قليلة :

— ها هو ذا جسرنا نحو الحرية يا عزيزتي ، و ..
بتر عبارته بغتة ، واتسعت عينا (منى) في دعر ..
فلم يكن هناك سوى رأس جسر ..
ولم يكن هناك جسر على الإطلاق ..

٧ — أرض الشياطين ..

التقى حاجبا (كال) الرفيعين في جِدَّة ، وهو يستمع إلى محادثة هاتفية ، وزمجر في غضب ، وهو يقول :

— وكيف حدث ذلك ؟

استمع إلى الجواب عبر سماعة الهاتف ، وعاد يزجر مغمغماً :

— أيها الأغبياء الحمقى .

ووضع السماعة في جِدَّة واضحة ، جعلت (هنرى) يسأله في عصبية :

— لقد فر .. أليس كذلك ؟

أبعد (كال) عينيه في حنق ، وهو يلوح بذراعه ، هاتفاً :

— ما كان من الممكن أن يفعل لولا أن

قاطعته (هنرى) في جِدَّة :

— لولا أنك لم تستمع لنصيحتي ..

انعقد حاجبا (كال) في شِدَّة ، وهو يلتفت إليه ، هاتفاً في غضب :

— زُوَيْدِكَ .. أَنْسَيْتَ أَنْي

عاد (هنرى) يقاطعه فى حَقِّق :

— كَلَّايَا (كَال) .. لَمْ أَنْسِ شَيْئًا ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ تَدْرِكَ
أَنْ كَوْنِكَ حَاكِمًا لـ (تَابِيهِ) لَا يَنْبَغِي لِي شَيْئًا ، فَكَلَّانَا يَتَسَاوَى
وَضَعَهُ فِى الْمُنْظَمَةِ .

رَانَ عَلَيْهِمَا الصَّمْتُ لِحِظَةٍ ، وَهَمَّا يَتَبَادَلَانِ نَظْرَةَ غَاظِبَةٍ ،
ثُمَّ أَشَاحَ (كَال) بِوَجْهِهِ فِى عَصِيْبَةٍ ، وَاتَّجَهَ نَحْوَ الْبَارِ ، وَالتَّقَطَّ
زَجَاجِعَتُهُ خَمْرًا ، فَضَّ سَدَادَتَهَا فِى جِدَّةٍ ، وَصَبَّ مِنْهَا كَأَسَا
كَامِلَةً ، وَهُوَ يَقُولُ :

— مَاذَا تَقْتَرِحُ ؟

أَخْرَجَ (هِنْرِى) مَسْدَسَهُ ، وَجَذَبَ مُشْطَهُ فِى قُوَّةٍ ،
وَتَرَكَهُ يَرْتَدُّ بِصَوْتٍ عَنِيْفٍ ، وَهُوَ يَجِيبُ :

— أَنْ نَطَّارِدَهُ .

رَشَفَ (كَال) رَشْفَةً مِنْ كَأْسِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

— إِنْهُمْ يَطَّارِدُونَهُ بِالْفِعْلِ .

هَبَّ (هِنْرِى) وَاقْفَا ، وَهُوَ يَهْتَفُ :

— مَطَّارِدَتِي لَهُ سَتَخْتَلِفُ ، فَكَلَّانَا رَجُلٌ مَخَابِرَاتٌ .. مُرَّ

بِأَعْدَادِ هَلِيُوكُوْبِتِرَ ، وَسَامَارِسَ مَهَامَ مَنْصِبِي كَرْنَيْسَ لِلْأَمْنِ ،

وَأَقْوَدَ مَطَّارِدَةَ الشَّيْطَانِ .

وَانْعَقَدَ حَاجِبَاهُ فِى غَضَبٍ وَصِرَامَةٍ ، وَهُوَ يُرْدِفُ :

— فَأَنَا خَيْرٌ بِمَطَّارِدَةِ الشَّيَاطِينِ .

كَانَ الْجِسْرُ ، الْمَفْتَرَضُ أَنْ يَصِلَ بَيْنَ حَافَتَيْ النِّهْرِ ، قَدْ انْهَارَ
مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ ، وَلَمَّا كَانَتْ هُنَاكَ عِدَّةُ جَسُورٍ أُخْرَى ، عَلَى
مَسَافَاتٍ قَرِيبَةٍ ، وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْجِسْرُ يَقُودُ إِلَى مَنْطِقَةِ أَحْرَاشٍ
قَدِيمَةٍ ، لَمْ يَغْدُ أَحَدٌ يَسْكُنُهَا ، مِنْذُ اتَّخَذَتْ الْجَزِيرَةُ ذَلِكَ الطَّابِعَ
الْإِنْفِتَاحِيَّ التِّجَارِيَّ ، فَإِنْ أَحَدًا لَمْ يَهْتَمَّ بِإِصْلَاحِ الْجِسْرِ الْقَدِيمِ ،
وَإِنْ ظَلَّتْ الْحَرَائِظُ الْحَدِيثَةُ تُشِيرُ إِلَى وَجُودِهِ ، وَكَأَنَّمَا لَمْ يَعْلَمْ
أَحَدٌ بِإِنْبِيَارِهِ بَعْدُ ..

وَحِينَئِذٍ أَدْرَكَ (أَدَهْمُ) تِلْكَ الْحَقِيقَةَ ، كَانَتْ الْمَسَافَةُ الَّتِي
تَفْصِلُهُ عَنِ رَأْسِ الْجِسْرِ ، لَا تَتَجَاوَزُ الْأَمْتَارَ الْخَمْسَةَ ، وَكَانَتْ
سَيَارَتُهُ تَنْطَلِقُ بِسُرْعَةٍ تَرَبُّوْ عَلَى الْمِائَةِ وَالْخَمْسِينَ كِيلُومِتْرًا فِى
السَّاعَةِ ، وَالتَّوَقُّفُ الْمَفَاجِئُ كَفِيلٍ بِقَلْبِهَا رَأْسًا عَلَى عَقْبِ .

وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِذْنَ سِوَى حَلِّ وَاحِدٍ ..

زَادَ (أَدَهْمُ) مِنْ سُرْعَتِهِ ، وَانْدَفَعَ فِى قُوَّةٍ نَحْوَ الْجِسْرِ
الْمَحْطَمِ ، وَهُوَ يَحَاوِلُ تَقْدِيرَ الْمَسَافَةِ الَّتِي تَفْصِلُهُ عَنِ الْحَافَةِ
الْأُخْرَى تَقْرِيْبِيًّا ، ثُمَّ تَرَكَ إِطَارَاتِ سَيَارَتِهِ تَصْعَدُ رَأْسَ الْجِسْرِ
وَ... تَطِيرُ عَجْرَ النِّهْرِ ..

كان مشهدًا مثيرًا للغاية لسيارة تطير عبر النهر ، حتى أن قائد سيارة الشرطة الباقية قد نسي أنه يقود السيارة ، وهو يحدق في المشهد بدهشة ، فلم يتبه إلا على حافة النهر ، ولم يستطع منع سيارته من السقوط فيه ، وهو يطلق سبًا ساخطًا غاضبًا ..

أما سيارة (أدهم) و (منى) ، فقد اندفعت عاليًا ، ثم مالت مقدمتها ، وبدأت رحلة الهبوط ، وشهقت (منى) :
— يا إلهي !!.. لقد فشلنا ..

فقد كانت السيارة تتجه نحو مياه النهر مباشرة ، بعد أن غجرت عن قطع الأمتار الثلاثين ، التي تفصل الحافتين .. وسقطت السيارة في الماء ..

سقطت وغاصت كقطعة من الحجر ..

وفي قوة وسرعة ، دفع (أدهم) باب السيارة ، وجذب إليه (منى) ، وراحا يسبحان صاعدين إلى سطح الماء ، ولم يكدا رأساهما يريزان إلى السطح ، حتى انهالت عليهما رصاصات رجال الشرطة ، فعادا يفوصان ، ويسبحان نحو الشاطئ الآخر .. وعندما بلغا الشاطئ الآخر دفع (أدهم) (منى) إليه ، وقفز خلفها ، وأمسك يدها ليركضا جنبًا إلى جنب ، مبتعدين عن مرمى نيران الشرطة ..

وعلى مسافة كيلومترين ، هتفت (منى) ، وهي تلهث في عنف :
— لم أعد أستطيع .. انتظر ..

توقف عن العدو ، وتركها تلقي جسدها المكدود فوق العشب ، وجلس إلى جوارها ، وراح يتطلع إليها ، وهي تلهث في عنف ، وأطلت من عينيه نظرة إشفاق ، وهو يتحسس شعرها في حنان ، مغمغمًا :

— لا بد أن تذهبي يا عزيزتي .. لا بد ..
سألته في رجاء :

— لم لا نذهب معًا يا (أدهم) ؟
هز رأسه نفيًا ، وهو يقول في الحفوت :
— لأن هذا مستحيل ..

هتفت :

— لماذا ؟ .. أنا أيضًا أنتمى إلى المخبرات العامة المصرية ، وهي مهمتي كما هي مهمتك !
أجابها في ضيق :

— ليس لهذا علاقة بالرسميات .. إنه مطلب شخصي .
تطلعت إلى عينيه مباشرة ، وهي تقول في همس :
— مطلب شخصي منك .

أوما برأسه إيجابًا ، وقال في لهجة مسّت شغاف قلبها :
— من قلبي مباشرة ..

لم تدر لماذا شعرت — في تلك اللحظة — برغبة عارمة في
أن تملأ عينيها بوسامته ، وأن تذوب في سواد عينيه الكثيف ؟ ..
لماذا تمثنت لو أنهما الآن في (القاهرة) ؟
وارتجف جسدها في قوة ، حينما أمسك كتفها بيديه ،
وتطلع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

— عديني أن تنطلقى إلى القنصلية المصرية يا (منى) .
أومات برأسها إيجاباً ، وتمتمت وكأنها مسلووبة الإرادة :
— أعيدك يا (أدهم) .. أعيدك .

قال في حزم :

— مهما كانت الأسباب ؟

رذدت خلفه كالمسحورة :

— مهما كانت الأسباب ..

وفجأة ، انتفض جسدها في عنف ..

لم يكن مبعث ذلك عشقها له ، أو تأجج عواطفها نحوه ..

لم يكن شيئاً ساراً على الإطلاق ..

كان سيلاً من الرصاصات ..

سيلاً انهمر من هليوكوبتر حربية ، يقودها الشيطان ..

الشيطان الذى يحمل اسم (هنرى كلارك) ..

٨ — الأحرار ..

كانت الطلقات الأولى غزيرة ، ولكنها لم تصب هدفها ؛ لأن
(أدهم) لم يكذب يسمع هدير الهليوكوبتر حتى اتخذ جانب
الحدار ، وقبل أن تنطلق الرصاصات بجزء من الثانية ، كان
يجذب (منى) بعيداً ، نحو منطقة كثيفة العشب ..

وكان هذا في الواقع هو سرّ انتفاضة (منى) العنيفة ..
لقد فوجئت بـ (أدهم) ينتزعها من مكانها ، ويجذبها خلفه
في عنف ، وهو يهتف :
— أسرعى ..

انطلقا يحدوان وسط الأحرار ، والهليوكوبتر تطاردهما في
عنف وإصرار ، حتى دفع (أدهم) (منى) وسط أكمة
متشابكة الأغصان ، وقال لها في جدّة :

— اسمعى .. من الضرورى أن تبعدى الآن .. من
الضرورى أن تصلى إلى القنصلية المصرية ..
هتفت في لوعة :

— ولكن يا (أدهم) ..

يفادر انخبأ ، وينطلق بأقصى سرعة وسط الأعشاب
النامية ..

وشهقت (منى) في دُعر ، حينما رأت الهليوكوبتر تندفع
خلفه ، وتمطره برصاصاتها ، وطفرت الدموع من عينيها في
غزارة ، وهي تغمغم :

— وداغاً يا (أدهم) .. وداغاً ..

ثم انطلقت مبتعدة في الاتجاه المضاد ..

عقد (هنرى) حاجبيه في توتر ، حينما رأى (أدهم)
يندفع وحده من مخبئه ، وغمغم في خنق :

— يا للسخافة !! .. إنه يضخى بنفسه ليفسح لرفيقتة

طريق الفرار .

سأله قائد الهليوكوبتر في هدوء ، وكأنما الأمر كله

لا يعنيه :

— هل نعود إليها لنفسد حُطَّته ؟

أجابته (هنرى) في حزم :

— بل دَعَّهَا .. هو وحده يهمنى .

وصمت لحظة ، ثم استدرك :

— ثم إنها لن تُفْلِت منا .

٧٣

قاطعها في صرامة :

— لا وقت للمناقشة .. إنه أمر .

وعاد يمسك كفيها ، وهو يستطرد :

— من الضروري أن تكوِّنى لى حُطَّ دفاع ثانياً يا عزيزتى .

ترقرت في عينيها الدموع ، وهي تقول :

— حسناً يا (أدهم) .. سأفعل .. ولكن هذه

الهليوكوبتر ..

عاد يقاطعها في لهجة حاسمة ، لا تحتمل النقاش :

— دَعِّيك منها .. إنها تريدنى أنا ، وستنطلق خلفى أنا .

هتفت في ارتياح :

— ولكن ..

لم يدغ لها فرصة إتمام عبارتها الاعتراضية ، وإنما واصل

حديثه في حزم :

— انتظرى هنا خمس دقائق فقط ، بعد أن أنطلق أنا ، ثم

انطلقى فى الاتجاه المضاد ، وستجدين جسراً خشبياً صغيراً ،

بمجرد عبوره ستعودين إلى المنطقة المتمدينة ، ومن هناك يمكن

لأية سيارة أجرة أن تُقلَّك إلى القنصلية المصرية .. هيا .

حاولت أن تعترض ، وأن تناقش رأيه ، إلا أنها فوجئت به

والتقط سماعة الأسلكي ، وهو يقول :

— من (هنرى) إلى (كال) .. أجب .

انتظر لحظة ، حتى سمع صوت (كال) يقول :

— هنا (كال) ، ماذا يحدث عندك ؟

أجابه (هنرى) فى انفعال :

— إننى أطارِد ذلك الشيطان ، وسأنجح فى اقتناصه ، إن

أجلاً أو عاجلاً ، ولكنه يقوم بمناورة لإبعادنا عن زميلته ،

وأظنها ستطلق فى الاتجاه المضاد ، وعليك أن تعمل على

منعها .

سأل (كال) فى لهجة عابثة :

— أهى جميلة ؟

عقد (هنرى) حاجبيه ، وهو يقول فى جدّة :

— نعم .. إنها كذلك ، ولكن هذا لا يعنينى كثيراً .

أجابه (كال) فى سخرية :

— ولكنه يعنينى أنا يا عزيزى .

ثم أضاف فى صرامة :

اطمئن .. ستوقع بها .. اطمئن ..

كان (أدهم) ينطلق بأقصى سرعة ، باحثاً عن نقطة

أخرى تصلح للاختباء ، والهليوكوبتر تطارده فى إصرار ،

و (هنرى) يحاول إصابته فى عناد ، وقد بلغ غضبه ذروته ،

لبراعة مناورات (أدهم) ، التى أعجزته عن إصابته

طويلاً ..

وفجأة ، لاح لـ (أدهم) شجرة عالية ، تقف وحدها

وسط الأعشاب ، وبرقت فى رأسه فكرة جنونية عجيبة ،

فابتسم فى سخرية ، وهو يركض نحوها ، مغمغماً :

— كم أتمنى لو أنك تمتلك العناد الكافى لمطاردتى أيتها

الوغد ..

فى نفس اللحظة ، كان (هنرى) يهتف فى خنق :

— اللعنة !!.. كيف يمكن لرجل واحد أن يراوغنا إلى هذا

الحّد .. لقد كادت ذخيرتنا تنفد ، دون أن تصيبه رصاصة

واحدة .

ابتسم قائد الهليوكوبتر ، وهو يقول :

— إنك تفتقر إلى الخبرة اللازمة ، لإصابة جسم متحرك

من آخر يا مستر (هنرى) .

هتف به (هنرى) فى خنق :

— ماذا تقول ؟!.. إننى رجل مخبرات سابق ، و

قاطعته قائد الهليكوبتر في هدوء :

— ليس لهذا علاقة بعمل المخابرات يا مستر (هنرى) ..
إنه أقرب إلى عمليات الصيد .

ثم أشار إلى (أدهم) ، مستطرذا في ثقة :

— انظر إليه .. إنه يشبه نمرًا يعدو وسط الأحراش ..
لقد أصبت عشرات الثمور بالوسيلة نفسها .

وصوب مدفعي الهليكوبتر إلى جسد (أدهم) ، الذى
صار على قيد خطوات من الشجرة ، وانخفض بالهليكوبتر ،
مضيفًا في زهو :

— انظر يا مستر (هنرى) .. سأريك كيف أصيبه من
الطلقة الأولى .

وفي هدوء ، ضغط زر إطلاق النيران ..

اندفعت (منى) تشق طريقها وسط الأحراش ، حتى
وصلت إلى الجسر الخشبي الصغير ، ولكنها لم تكد تقترب
منه ، حتى نحت سيارات الشرطة التى تحيط به ، وتركز بصرها
على رجل بالغ البدانة ، مكنتظ الوجه ، يحيط به رجال الشرطة
على نحو يؤكد أهميته ، وهو يحفف عرقه الغزير بصورة مبالغه ،

ويلوح بذراعيه في جدّة ، وارتجفت في توثر ، حينما رآته يشير
نحو المنطقة التى يختبئ فيها . ويلقى تعليماته على رجال
الشرطة ، الذين استمعوا إليه فى اهتمام ، ثم أسرعوا إلى
سياراتهم ، وأداروا محركاتها ، وحشر هو نفسه فى سيارته
الضخمة ، وانطلق بها يعبر الجسر ، وعبرت سيارات الشرطة
خلفه ، واتجه الرتل كله نحوها ، فتراجعت فى توثر ، وقبضت
على مسدسها فى قوّة ، وهى تغمغم :

— لم تعد لدى سوى رصاصة واحدة ، ولكنى أقسم أن
أفرغها فى رأس ذلك البدين . إذا ما فقدت آخر أمل .

ارتجف جسدها فى قوّة ، وهبط قلبها بين قدميها ، حينما
شعرت بفوهة مسدس باردة تلتصق بمؤخرة رأسها . وسمعت
صوتًا صارفًا ، يقول بالإنجليزية :

— حذار أن تبدر منك بادرة واحدة أيتها الانتحارية
الحسنة .. فمسدسى متأهب لاختراق جمجمتك .. ألقى
سلاحك بسرعة ، فأنا أفنقر إلى فضيلة الصبر .

ولم يكن أمامها سوى أن تطيع ..

كانت مناورة بهلوانية عنيفة ، تلك التى قام بها (أدهم) ،
وسط تلك الأحراش ..



ودار بجسده ذؤرة كاملة في الهواء ، وهو يندفع نحو اهليوكوبتر ، ويتعلق
فجأة بقائمتها اليسرى السفلى .

مناورة أصابت قائد اهليوكوبتر ، و (هنرى كلارك)
بذهول رهيب ..

لقد كانت اهليوكوبتر قد انخفضت ، لتحلق على ارتفاع
منخفض ، وهي تنقض على (أدهم) ، وقائدها يصوب إليه
مدفعين رشاشين ، ويستعد لتحويل جسده إلى مصفاة ،
بضغطه زر واحدة ..

وفجأة ، قفز (أدهم) نحو الشجرة ..
قفز متعلقاً بأغصانها القوية ، ودار بجسده حول الغصن
القوى في مهارة ورشاقة مذهلتين ، ثم ترك الغصن ، ودار
جسده ذؤرة كاملة في الهواء ، وهو يندفع نحو اهليوكوبتر ،
ويتعلق فجأة بقائمتها اليسرى السفلى ..
واحتل توازن اهليوكوبتر ، وقائدها يرتفع بها في حركة
غريزية ، هاتفاً في ذهول :

— مستحيل !!.. هذا مستحيل !!..

صرخ (هنرى) في ارتياح :

— لقد تعلق باهليوكوبتر .. إنه سيصل إلينا ..

ثم اختطف مدفعه الرشاش ، وصوبه إلى أرضية
اهليوكوبتر ، صارخاً :

— سأقتله .. سأقتله قبل أن يصل إلينا .

هتف به قائد الهليوكوبتر في دُعر :

— رُوَيْدِكَ .. إن هذا النوع من الطائرات المروحية ،
يحوى كل خزانات وقوده في أسفل ، ورساصاتك ستفجّرنا
كلنا .

صرخ (هنرى) في رُغب :

— ولكنه سيصل إلينا .. سيصل إلينا بالتأكيد .. إنه
شيطان .

هتف قائد الهليوكوبتر :

— ربّما كانت لدى وسيلة أخرى .. وسيلة أكثر فاعلية .
ثم اندفع بالهليوكوبتر نحو مجموعة أشجار باسقة حادّة
الأغصان ، وهو يستطرد :

— سأمرّقه فوق تلك الأغصان .. سأمرّقه إزبًا .

ورأى (أدهم) نفسه يندفع نحو مجموعة من الأغصان
البارزة الحادّة ..

مجموعة من السيوف الخشبيّة القاتلة ، مصوّبة إلى
صدره ..

إلى قلبه مباشرة ..

٩ — قتال في الجو ..

شعرت (منى) بعنق هائل ، ورغبة عارمة في البكاء ،
وهي تلقى مسدّسها ، وتقول في حدّة :

— حسنًا .. إننى أستسلم ، ولكن ثِقْ أنك لن تحصل منى

على حرف واحد ، و

قاطعها الرجل ، قائلاً في لهجة تهكمية :

— رُوَيْدِكَ أيتها الانتحارية الحسنة ، فلنخفض صوتينا

أولاً ، حتى يتجاوزنا هؤلاء الأوغاد .

لاذت بالصمت في دهشة ، وحبست أنفاسها ، وهي تتابع

سيّارة (كال) ، وسيارات الشرطة التي تتبعه ، وهي تعبر على

قيد متر واحد ، من الأغصان التي تختفى خلفها ، ولم تكد

سحب الغبار ، التي خلفتها السيّارات ، تنقشع ، حتى سمعت

الرجل من خلفها يقول بلهجته شبه التهكمية :

— حسنًا أيتها الانتحارية الحسنة .. استديري في بظء ،

ودعيني أرى وجهك الفاتن ..

استدارت (منى) فى بظء وتحفز ، ولكنها لم تكء ترى
وجه الرجل الذى أسرها ، حتى اتسعت عيناها وانفجر فاهما فى
دهشة ، فلقد كان الرجل زرى الهيئة على نحو عجيب ، وشديد
التحول ، على الرغم من وسامته الواضحة ، أو بمعنى أدق
بقايا الوسامة ، فقد كان الرجل قصير الشعر إلى حد مثير
للهشة ، كما لو كان حلاقاً سادياً قد جزه جزاً ، والسترة
والسروال اللذان يرتديهما قد ران ممزقان إلى حد مخيف ، إلا
أن هذا لم يحجب تلك النظرة الساخرة فى عينيه الزرقاوين ،
واستتاره الواضح فى حمل ذلك المسدس ، الذى يصوبه
إليها ..

وبكل ما يميل أعماقها من دهشة ، هتفت :

— من أنت ؟

أجابها بلهجة التهكمية :

— دعينا نسمع ذلك الجواب منك أولاً ، فالفضول

يقتلنى لمعرفة سر اختبارك هنا ، وذلك المسدس فى يدك .

أشارت إلى حيث اختفت سيارات الشرطة ، وهى تغمغم :

— إنهم يبحثون عنى .

رفع حاجبيه فى دهشة ، وهتف .

— عنك أنت ؟

ثم عادت تلك اللهجة الساخرة إلى صوته ، وهو
يستطرد :

— أنت مناهضة لنظام الحكم ؟

سأله فى دهشة :

— أى نظام حكم ؟

أشار بدوره إلى حيث اختفت السيارات ، قائلاً :

— نظام حكم ذلك الخنزير (كال) .

سأله فى اهتمام :

— أتقصد (فرديناند كال) ؟

أجابها ساخرًا :

— أتوجد هنا خنازير أخرى ؟

عقدت حاجبها فى حزم ، وهى تقول :

— اسمع .. أريد معرفة من أنت ، وما سر هيتك الـ

بترت عبارتها فى خرج ، فأكمل ساخرًا :

— المؤسفة .. نعم .. أظن هذا من حقك .

وجلس أرضاً فى هدوء ، وألقى مسدسه جانباً ، وهو

يستطرد :

— إننى واحد من سعداء الحظ ، الذين نجحوا فى الفرار

من الجحيم .

غمغمت في دهشة :

— الجحيم !!

أوما برأسه إيجابا ، ثم أشار إلى الجهة التي تركت (أدهم)

فيها ، قائلا :

— نعم .. من معتقل الجنرال (أندريه) .. شيطان

الجحيم .. من معتقل الموت .. (المعتقل الرهيب) ..

* * *

لم يكن أمام (أدهم) ، وهو يندفع مع الهليوكوبتر ، نحو

تلك الأغصان الحاذة المدببة القاتلة ، سوى أن يترك قائم

الهليوكوبتر الخلفى ، ليتهوى أرضا وسط العشب ، أو يقاوم

دفع الهواء الرهيب ، ليرتفع ملتصقا بقعر الهليوكوبتر ..

ولم يكن (أدهم) ليتخلى أبدا عن شيء تثبت به ..

وبكل ما يملك من قوة وإرادة وعزيمة وإصرار ، دفع

(أدهم) جسده إلى الأمام ، وقاوم ضغطا رهيبا للرياح ،

حتى التصق جسده بباطن الهليوكوبتر ، التي عبرت فوق قمم

الأغصان ، فصرخ (هنرى) في دُعر :

— أين ذهب ؟.. لقد فشلت لحظتك .. لن يمكنك أبدا

التخلص من ذلك الشيطان .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى فوجئ قائد الهليوكوبتر

به (أدهم) يقفز داخلها ، فأطلق صرخة رعب حقيقية ،

وتخلى عن عصا القيادة ، وهو يصرخ :

— مستحيل !!.. هذا مستحيل !!..

أما (هنرى) ، فقد أسرع يتزع مسدسه ، وهو يصرخ :

— كلاً .. كلاً أيها الشيطان .

وانطلقت رصاصة مسدسه نحو (أدهم) ، ولكن هذا

الأخير تفادها بانحناءة ماهرة رشيقة ، فتجاوزه الرصاصة .

واستقرت في عنق قائد الهليوكوبتر ، الذي شهق في دُعر

ودهشة وألم ، ثم ترنح ، وسقط خارج الهليوكوبتر ، التي

ترنحت في عُنف ، على حين قفز (أدهم) نحو (هنرى) ،

وكال له لكمة عيفة ، وهو يقول :

— لقد خسرت أيها الوغد .. من الأفضل لك أن

تستسلم .

صرخ (هنرى) في رُعب :

— كلاً .. ابتعد عني .. ابتعد أيها الشيطان ..

ثم تألقت عيناه فجأة ببريق جنوني ، وأطلق ضحكة

هستيرية عالية ، وهو يشير إلى أسفل ، مستطرذا :

١٠ - الهدف ..

هزت (منى) رأسها في عنف ، وكألما تحاول أن تنفض من عقلها كل ما سمعته من الرجل ، وغمغمت في صوت مرتعش :
- مستحيل !! إن ما تذكره مستحيل في الواقع يا مستر (كوريل) .. إنه غير آدمي .. غير آدمي على الإطلاق .
ابتسم في سخرية ، وهو يقول :
- لماذا يا سيدي ؟ .. إن هذا يحدث منذ عامين تقريبا ..
منذ أصبح الخنزير (كال) حاكما للمدينة .
سألته في ارتياح :
- أهو يعتقل كل خصومه السياسيين ؟
أوما برأسه إيجابا ، وقال :
- والاقتصاديين أيضا .
ثم مال نحوها مستطرذا بنفس لهجته التهكمية :
- إنه ديكتاتور .
ولوح بكفه وهو يعود إلى موضعه الأول ، مردفا :

- سنموت معا .. سننتهي معا ..

التفت (أدهم) إلى حيث يشير (هنري) ، وأدرك على الفور ما يعنيه ..

لقد كانت المليونكوبتر تهوى ..

تهوى وسط الأحرار ..



— كل من يعارضه يذهب إلى هناك .. إلى معتقل
(أندريه) الرهيب .. و (أندريه) هذا جنرال فرنسي
سابق ، مصاب بسادية رهيبه ، فهو يهوى سماع الأنين ،
ورؤية الدماء ، وما إن يُلقى سوء الحظ بنزيل جديد في
معتقله ، حتى يتلقفه هو ، ويبدأ في استجوابه ، ووسائله في
الاستجواب رهيبه ، فهو يتزع الأظفار ، أو يشوى القدمين
على النيران ، أو يجلد بسياط معدنية .. أو ..
قاطعه ، وهي تشيح بوجهها في الشتمزاز :
— كفى .

ابتسم في سخريه ، مستطرذا :
— المهم أن يحصل على اعتراف .. مهما كان الثمن ،
وبعدها يلقي النزيل إلى زبائنه ، الذين يضيفونه إلى قائمة
العاملين بالمنجم .

هتفت في دهشة :

— المنجم !؟ .. أي منجم !؟

تنهد وكأنا أدهشته سداجتها ، وقال :

— أكنت تظنين أنهم يحشدون النزلاء في ذلك المعتقل ،

لإرضاء نزعات (أندريه) السادية فحسب ؟

عقدت حاجبها في غضب ، وقد أحقها أن يتحدث إليها
بذلك الأسلوب ، وقالت في صرامة :
— حسنا .. إنهم يجبرونكم على العمل في منجم .. أليس
كذلك ؟

هتف ساخرًا :

— رائع .. يا للذكاء !!

سألته في حدة :

— أهو منجم ذهب ؟

هز رأسه نفيًا في برود ، فعادت تقول بصوت أشد حدة :
— ماس ؟

هز رأسه نفيًا مرة أخرى ، فهتفت في عصبية :

— ما الذي تستخرجونه من ذلك المنجم اللعين إذن ؟

أجابها في هدوء :

— نقد .. أوراق نقد .

اتسعت عيناها في دهشة ، وحذقت في وجهه مغممة :

— ماذا ؟

أجاب في هدوء أصابها بالدعر :

— أقول أوراق نقد .. كل فئات أوراق النقد .



وبسرعة ، حمل (أدهم) (هنرى) على كتفيه ثم قفز خارج الطائرة .

وصمت لحظة ، قبل أن يُردف :
- المصرية .

هوت اهليوكوبتر نحو الأحراش فى سرعة رهيبه ، وتعالت
ضحكات (هنرى) الجنونية ، وهو يهتف :
- سنلقى حتفنا فى آن واحد أيها الشيطان
المصرى .

أجاب (أدهم) فى صرامة :

- هذا ما نظنه أيها الحقير .

ثم هوى على فكه بكلمة كالقنبلة ، جعلت رأسه يرتط
بظهر مقعده ، فيفقد وعيه على الفور ..

وكم شعر (أدهم) بالرغبة فى تركه داخل اهليوكوبتر ،
ولكنه كان يشعر بأهمية بقاء (هنرى كلارك) على قيد الحياة ،
لترتفع فرصة استعادة (خالد) .

وبسرعة ، حمل (أدهم) (هنرى) على كتفيه ، ثم قفز
خارج الطائرة .. وهبط (أدهم) على قدميه وسط الأعشاب
والأغصان ، وتدحرج مع جفله أرضا ، على حين واصلت
اهليوكوبتر سيرها ، وارتطمت بالأشجار ، وتحطمت مزوحها
فى عنف ، ثم انفجرت بدوى هائل ، واشتعلت فيها النيران ..

ونهبض (أدهم) يتطلع لحظة إلى الخطام المشتعل ، ثم
التفت إلى حيث سقط (هنرى) ، وأطلت من عييه نظرة
صارمة ، وهو يتجه إليه ، ويتزعه من مكانه فى قوّة ، قائلاً :
— استيقظ أيها الحقير .. غدا إلى وغيك ..
ثم صفعه فى قوّة ، فانفض (هنرى) فى دُعر ، وهو
يهتف :

— كلاً .. كلاً ، لا تقتلنى .

هزه (أدهم) فى قوّة ، وهو يقول فى صرامة :

— هذا يتوقّف عليك أيها الوغد ، فسأقتلك بلا ريب ، لو

أنك لم تجب عن أسئلتى بكل وضوح وصرامة .

حدّق (هنرى) فى وجهه برُعب ، وهو يهتف :

— ما الذى تريد معرفته ؟

سأله فى صرامة :

— ماذا فعلت بـ (خالد) ؟ .. أين هو الآن ؟ .. هل

قتله ؟

لوح (هنرى) بذراعيه فى دُعر ، وهو يهتف :

— كلاً .. كلاً .. إنه على قيد الحياة .

عاد يسأله فى صرامة أشد :

— أين هو ؟

أشار (هنرى) إلى ما خلف (أدهم) ، وهو يهتف :

— هناك .. عند (أندريه) .

عاد (أدهم) يسأله فى حدة :

— أين ؟

صاح (هنرى) فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

— فى بؤرة الجحيم .. فى المعتقل !

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدّة ، وهو يقول :

— المعتقل !؟

ثم جذب (هنرى) إليه فى عنف ، مستطرذاً فى حزم

وصرامة :

— اسمع أيها الوغد .. لقد أثرت فضولى حقاً ، ولن

أتركك حتى تقصّ علىّ كل شيء بالتفصيل .

هتف (هنرى) فى رُعب :

— سأخبرك .. سأخبرك بكل شيء ، و

وفجأة اتسعت عيناه فى رُعب ، وجحظتا ، ثم تمالك بين

ذراعى (أدهم) ، ومن مؤخرة عنقه اندفع خيط من الدّم ،

عَبْرَ ثَقْبٍ صغير ..

١١ - نحو الجحيم ..

انتفض جسد (منى) ، حينما استمعت إلى كلمة
(كوريل) الأخيرة ، وتعلقت بذراعه ، وهي تقول في حدة :
— لماذا ؟ .. لماذا يطبعون أوراق النقد المصرية ؟
دفعها (كوريل) بعيدا ، وهو يقول في حدة :
— زويدك يافتاة .. لست أدري ما الذى يفعلونه بتلك
الأوراق ، فمهمتى تقتصر على طبعها فحسب .
هبت من مكانها ، وهتفت فى توثر بالغ :
— ولكن لماذا ؟ .. لماذا يطبعون أوراقا مالية زائفة ؟
تنحج (كوريل) ، وقال :
— مهلا أيتها الانتحارية الحسنة .. إنها ليست زائفة .
التفتت إليه فى حدة ، وعقدت حاجبها ، وهي تقول :
— أى هراء هذا ؟ .. كل أوراق النقد ، التى تُطبع خارج
أماكن طبعها الرسمية ، هى أوراق زائفة بالتأكيد .
تنحج مرة أخرى ، قبل أن يقول :

وأدرك (أدهم) مغزى ذلك على الفور .
لقد أصابت الرصاصة (هنرى) بدلا منه ..
رصاصة قناص ماهر أخطأت هدفها ..
ولكنها قد لا تخطئه فى المرة القادمة ..
قد لا تخطئ رأسه هو ..



— بالطبع ، ما لم يتم طبعها بالوسيلة نفسها ، وعلى نفس الورق الأصلي ، وبنفس الأحبار .

اتسعت عيناها في دُغر ودُهل ، وهي تهتف :

— أتعنى أنهم يطبعون أوراقًا مائيّة مصرية ، يستحيل

تفريقها عن الطبيعية ؟

أوما برأسه إيجابًا في صمت ، فهتفت :

— لا بُد من إيقاف هذه المؤامرة إذن .. يا إلهي !! إن هذا

لكفيل بتدمير اقتصادنا تمامًا .

ثم اندفعت مبتعدة ، وهي تستطرد :

— لا بُد من إبلاغ القنصلية المصرية على وجه السرعة .

أسرع (كوريل) يلتقط مسدسه ، وهو يهتف في صراحة :

— إلى أين أيتها المصرية الحسنة ؟

هتفت به في توتر :

— ألم تفهم بعد ؟ .. إنها مؤامرة لتحطيم اقتصاد دولتي ،

ولا يمكنني الوقوف ساكنة إزاء ذلك .

زجر في صرامة :

— لن أسمح لك بالذهاب .. إنه أمني أيضًا .

عقدت حاجبها في صرامة ، وهي تقول :

— اسمع يا (كوريل) .. اقتلني لو شئت ، فسأموت

مرتاحة الضمير على الأقل ، لأنني لم أقف ساكنة ، إزاء تلك

المؤامرة الرهيبة ، التي تهدف إلى تحطيم اقتصاد دولتي وأمنها .

تردّد لحظة ، ثم غمغم :

— ومن يضمن لي أنك لن تبلغني عنّي ؟

هتفت في حماس :

— إنني على العكس ، سأعود لالتقاطك ، فأنت الوحيد

الذي يمكنه إرشادنا ، إلى حيث تُحاك تلك المؤامرة الجهنميّة .

تردّد لحظة أخرى ، ثم خفض مسدسه ، مغمغمًا :

— لو أن كل أمور الدنيا تدار بالمنطق ما صدقت حرفًا

واحدًا من حديثك ، ولكنني ، ولسبب ما أثق بك .. هيّا ..

اذهبي .

سألته في صرامة :

— ومن يضمن لي أنك لن تطلق النار على ظهري ؟

ابتسم ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

— هذا المسدس .. فهو لا يحوى رصاصة واحدة .

تطلّعت إليه في دهشة ، ثم ارتسمت على شفيتها ابتسامة

عريضة ، وهي تقول :

— صدقنى يا مستر (كوريل) .. إننى سعيدة حقًا
بلقائك ، فأنت تذكرنى بشخص عزيز جدًا بالنسبة إلى .
وشرد بصرها إلى حيث تركت (أدهم) ، وهى تستطرد
فى لوعة :

— شخص لا يعلم إلا الله (سبحانه وتعالى) ، ما إذا
كنت سأراه مرة أخرى .. أم أنى قد ودّعته إلى الأبد ..

هتف مساعد (فرديناند كال) فى أسف ، حينما رأى
(هنرى) يسقط صريعًا ، برصاصة رئيسه ، من خلال
عدستى منظاره المقرب :

— يا للشيطان !!.. لقد أخطأت الهدف يا سيدي .

ابتسم (كال) ابتسامته الواسعة ، وهو يقول فى
سخرية :

— إننى لم أخطئ شيئًا أيها الغبى .. ولكنى أحب أن
يتصوّر الجميع هذا ..

وأشعل سيجارته ، قبل أن يُردف :

— لقد صار (هنرى) شديد السخافة ، فى الآونة
الأخيرة ، وكان من الضرورى التخلص منه .

حدّق المساعد فى وجه (كال) بدهشة ، ثم هتف :
— ولكن ذلك المصرى أسرع يختفى وسط الأحرار ،
فور إصابة مستر (هنرى) يا سيدي .. وسيكون من العسير
أن نطلق عليه رصاصة أخرى .

ابتسم (كال) فى سخرية ، وهو يقول :

— ومن يفكر فى إصابته بالرصاص ؟

ثم سأله فى اهتمام :

— أى اتجاه اتخذ فى فراره ؟

أجابه مساعده :

— الشمال الشرقى يا سيدي .

اتسعت ابتسامته (كال) ، وهو يقول :

— عظيم .. إنه يتجه نحو الجحيم مباشرة .

ثم التقط جهاز اللاسلكى الصغير ، وضغط أحد أزراره ،
وأدنى فمه من بوقه ، وهو يقول :

— أندريه (.. هنا (كال) .. هل تسمعنى ؟

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يرتفع صوت بارد ،
بطيء الثبرات ، يقول :

— نعم .. أسمعك .. ماذا تريد ؟

أجابه (كال) فى لهجة عابثة :

— هناك صيد يتجه نحرك مباشرة ، دون أن يدري ..
أنت مستعد لاستقباله ؟
مضت لحظة أخرى من الصمت ، قبل أن يقول
(أندريه) :

— نعم .. أنت تعلم أنى ذؤماً مستعد لذلك .

ابتسم (كال) ، وهو يقول :

— اتخذ كل الاستعدادات الممكنة هذه المرة إذن ، فالصيد
بالغ الخطورة ، ولقد تسبب فى مقتل (هنرى) .
كانت لحظات الصمت أطول هذه المرة ، ولقد جاء صوت
(أندريه) غاضباً ، وهو يقول :

— إذن ، فهو يستحق معاملة خاصة بالفعل .

اتسعت ابتسامته (كال) ، وهو يقول :

— نعم .. بالتأكيد .. إنه يحتاج إلى معاملة خاصة ..
خاصة جداً .

لم يكذب (هنرى كلارك) يسقط بين ذراعى (أدهم) ،
حتى دفعه هذا الأخير جانباً ، واندفع يعدو فى مسار متعرج ،

١٠٠

نحو المنطقة الأكثر كثافة من الأحرش ، ووجهها فى قوة ،
وواصل عدوه فيها بعض الوقت ، ثم توقفت ، وتلفت حوله ،
مغمغماً فى سخرية :

— أين طريقك هذه المرة يا (أدهم صبرى) ؟ .. أتعثم
ألا تكون قد فقدته كهادتك !

عقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى اهتمام :

— لقد كان ذلك الوغد (هنرى كلارك) يقف فى ذلك
الاتجاه ، وعندما سألته عن مكان المعتقل ، أشار إلى هذا
الاتجاه .. أى إلى الشمال الشرقى ، وقد تكون إشارته
صحيحة ، أو أنها تغنى أن المعتقل داخل الأحرش فحسب ،
وما دمت لا أملك أية معلومات أخرى ، ومن المتعذر الحصول
على معلومات إضافية ، فسأفترض جدلاً أنه كان يشير إلى
الاتجاه الصحيح .

اتخذ طريقه نحو الشمال الشرقى ، وهو يستطرد فى
سخرية :

— ومن المؤسف أنى لا أملك سلاحاً ، ولم أجد الوقت
الكافى لاختطاف مدفع (هنرى) الآلى ، مع سقوط
الهلوكوبتر .. ليكن .. سأتمسك بعوامل التفاؤل ، وأفترض
أنى لن ألتقى بما يحتاج إلى سلاح نارى .. مجرد افتراض ..

١٠١

لم يصف كلمة أخرى لنفسه ، وهو يسير مدة نصف ساعة
أخرى ، غير أحرش متشابهة كثيفة ، حتى بلغ بقعة شبه
عارية ، فتهد ، مغمغماً :

— يبدو أنه كان من المفروض أن أتبنى الافتراض الثاني ،
فهانذا أسير مدة نصف ساعة ، في نفس الاتجاه ، دون أن أقع
على مشهد واحد مغاير ، كلها أحرش متشابهة .
تهد مرة أخرى ، وحرك قدمه ليواصل سيره ، إلا أن شيئاً
ما جعله يتسمر في مكانه ..

إنه وقع خطوته ...
لقد كشف بغتة ، مع ذلك الصوت الذي صدر من
خطوته ، أن المكان ساكن للغاية ..

ساكن وصامت على نحو غير طبيعي على الإطلاق ..
حتى الطيور والحشرات لم يقد لها صوت ..
وفي حذر ، نقل خطوته في ببطء ، و ..
وفجأة ، التفت حوله شبكة ضخمة ، وحمله إلى أعلى في
عنف ، وأحكم وثاقها دفعة واحدة ..

لقد سقط (أدهم) في الفخ ...
وقاوم (أدهم) في عنف ، محاولاً التخلص من القيود ، ثم
لم يلبث أن ترقف بغتة ، حينما وقع بصره عليه ..

على الجنرال (أندريه) ..

كان رجلاً نحيلًا للغاية ، أشيب الشعر ، يبدو في أوائل
الخمسينات من عمره ، بارد الملامح إلى حد مخيف ، صارم
النظرات على نحو مهيب ، كث الشارب أشيبه ، وكان يرتدى
خلّة عسكرية كاملة ، يعود طرازها إلى زمن الحرب العالمية
الثانية ..

ومن حول الرجل ، برز عشرات الجنود ، من ذوى الملامح
الآسيوية ..

وفي برود منقطع النظر ، أشار (أندريه) إلى (أدهم) ،
الذي أيقن من عدم جدوى مقاومته للشبكة المحكمة ، ذات
الجمال المتينة ، فتقدم ثلاثة رجال نحو بطلنا في حذر ، والتفوا
حوله ، فابتسم هو في سخرية ، قائلاً :

— مَعْدِرَةٌ .. كنت أنتظر الحافلة العامة ، و ..
وفجأة ، بتر عبارته في عنف ..
بترها عندما هوت مؤخرة مدفع آلي على مؤخرة عنقه في
قوة ..

وهتف (أدهم) في غضب :
— أيها الحقراء

وتلقى عنقه ضربة أخرى أكثر عنفاً ..

ودارت به الدنيا ..

وأظلمت ..

وأظلمت ..

وأظلمت ..

وفقد (رجل المستحيل) وغيه ..

فقد وغيه وسط أعدائه ، في قلب الأحراش ..

وفي برود لم يخجل من رثة ظافرة ، شامته ، قال (أندريه) :

احملوه إلى المعتقل .

وربّما لأول مرة في حياته ، ارتسمت على شفطسى

(أندريه) ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد :

— سيروق لي استجوابه للغاية ..

وغربت شمس ذلك اليوم على جزيرة (تايوان) ، وهي

تحمل لـ (أدهم صبرى) هزيمة ، وتنقله إلى معتقل رهيب ..

إلى بؤرة الشيطان ..

وإلى أرض الجحيم ..

[انتهى الجزء الأول ، ويليه الجزء الثانى]

[الدائرة الجهنمية]

المؤلف



د. نيل فاروق

**رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاهرة
بالأحداث
المثيرة**

٧٢

الثنى فى مصر

د

وما يعادله بالدولار
الأمريكى فى سائر
الدول العربية
والعالم

المعتقل الرهيب

- ما السرُّ ، خلف اختفاء أحد رجال
التجارب المصريّة فى (تايوان) ؟
- كيف اضطر (أدهم) و (منى) إلى
مواجهة حاكم عاصمة (تايوان) ،
ورئيس شرطتها ؟
- ثرى .. أينجح (أدهم) و (منى) فى
مواجهة أحرّاش (تايوان) ، أم ينتهى
بهما الأمر فى (المعتقل الرهيب) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل
(رجل المستحيل) ..



العدد القادم : الدائرة الجهنمية